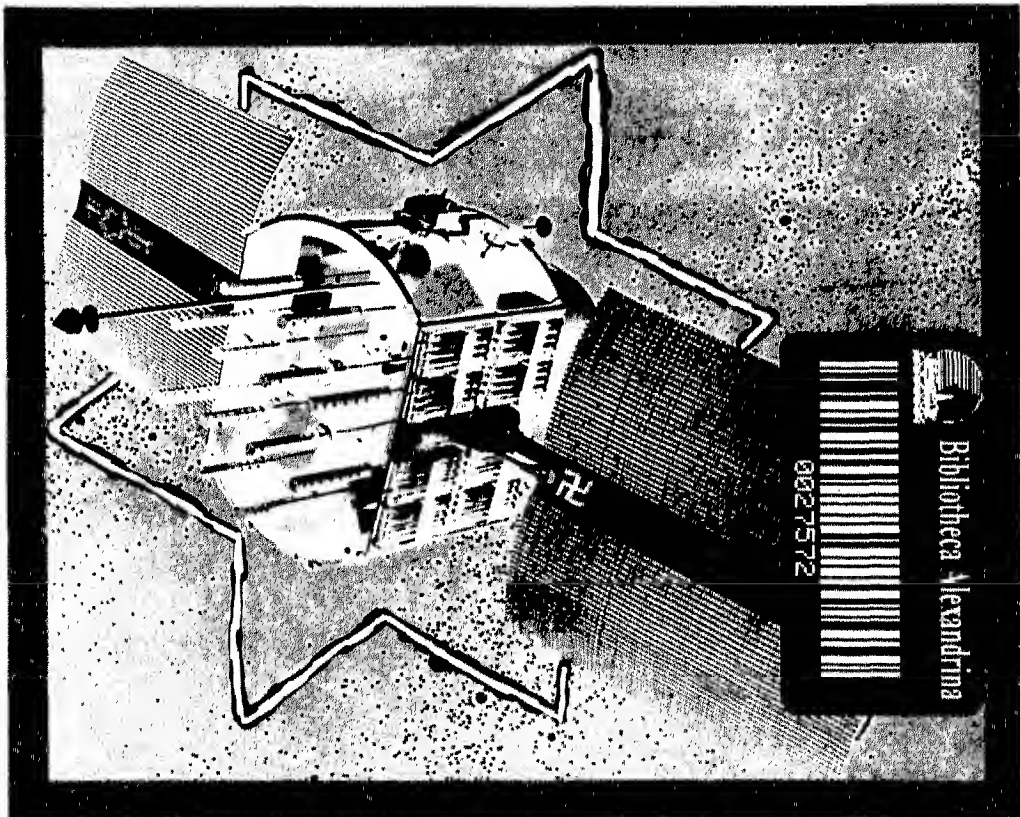


السلامة
للدراسات
والأبحاث
والأبحاث



حَرْبُ الْفُضَاءِ وَنَظَرِيَّةُ الْأَمْنِ الْإِسْرَائِيلِي

د. علاء طاهر



حَرْبُ الْفِضَاءِ وَنظَرِيَّةُ الْأَمْنِ الْإِسْرَائِيلِي

الطبعة الأولى : - سبتمبر ١٩٩١

الناشر

الصالح للدراسات الاستراتيجية والإنتاج الإعلامي

ص . ب ٢٣ - ٧٥٠٠٨ باريس - سديكس ٨

الموزع

المكتب العربي للمعارف

٢٣ « ١ » شارع الأمام على - ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة

ت - ٢٩٠٠٣٢٣

د . علاء طاهر

باحث بمركز البحوث الاستراتيجية

بجامعة السربون - باريس

حَرْبُ الْفِضَاءِ وَنظَرِيَّةُ الْأَمْنِ الْإِسْرَائِيلِي

الناشر

الصّلاح للدراسات الاستراتيجية والإنتاج الإعلامي

تقديم

يضم هذا الكتاب أربعة بحوث تتناول موضوعات استراتيجية وعسكرية معاصرة ، قد تختلف فى تخصصاتها أو فى المسائل التى تعالجها ، لكنها فى النهاية تقترب بشكل أو بآخر من موضوع الصراع العربى - الإسرائيلى ، وذلك فى ضوء التطور المنهجى - التقنى الذى بلغته العلوم الاستراتيجية المعاصرة .

تبرز هذه البحوث المتغيرات المستجدة فى ميدان الاستراتيجية العسكرية الحديثة ، وذلك فى المجالات التى يبحثها كل منها دون الامتداد إلى موضوعات عامة أخرى .

يتناول المبحث الأول البعد النظرى - المفهومى فى تحديد المضامين التقنية لمصطلحات جديدة فى العلم الاستراتيجى المعاصر . فعلى الرغم من وجود مفاهيم استراتيجية مُداولة داخل الكتابات العربية الحديثة ، لم تتكون لحد الآن التراكمات التقنية التى تمخضت عن تداخل العلم الاستراتيجى مع العلوم الإنسانية الأخرى مواكبة تطورها المنهجى والدالى .

يتضمن المبحث الأول كذلك ، إعادة تحديد لمفهوم «الاستراتيجية» نفسه متطرقاً إلى كل الأبعاد التى يتضمنها هذا المفهوم ومستجداته المتوازية فى حركيتها التطورية مع العلوم العسكرية ، وتساعد قدرتها التقنية . كما ينطوى التحديد الجديد على إبراز المحتوى العام للمفهوم من حيث كونه فعلاً دينامياً داخل عملية التفكير وداخل التناسق النظرى لمراحلها .

تنبثق ضرورة هذا التحديد التخصصى للمفهوم من كون مفردة «استراتيجية» قد غدت فى السنوات الأخيرة ذات حضور عام ومتشعب داخل الأدبيات السياسية السائدة فى الوطن العربى علاوة على سيادتها فى الخطاب السياسى الشفهى واستخدامها بشكل يلتزم جزئياً بالدقة الدلالية للمفهوم أو لا يلتزم بها البتة بحيث تغدو المفردة محض كلمة هلامية

داخل سياق عام لنص سياسى مباشر . كما أن استخدامها قد طال نواحى أخرى تخرج عن ميدان الاستخدام الاستراتيجى العسكرى لها .

يسعى المبحث الأول أيضا إلى تحديد مفاهيم مستجدة فى علم الاستراتيجية المعاصرة ، وخاصة تلك المفردات التقنية التى نشأت نتيجة لتداخل العلوم الاستراتيجية مع العلوم الاجتماعية والفلسفية الأخرى والتى أخذت تحضر بكثافة الأبحاث الاستراتيجية المكتوبة باللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية ، إلا أن هذه المفاهيم لم تدخل بعد إلى ميدان التداول فى اللغة العربية بسبب تخلف المنظور المنهجى للأبحاث الاستراتيجية فى الوطن العربى بحيث بقيت مقتصرة على الميدان العسكرى المحض أو على مجال العلاقات الدولية دون اكتساب حصيلة نظرية من الأحداث الجارية على أرضية الواقع .

أما المبحث الثانى فيهدف إلى إبراز الأسس التى تقوم عليها نظرية الأمن القومى الإسرائيلى كما تجسدها التطبيقات العملية لها ، فالمحاور المتحركة بصلافة هذه النظرية تنبثق من دقة الوعى الحسابى وواقعيته عند القيادة العسكرية السياسية الإسرائيلية . إن معتقد الأمن القومى الإسرائيلى يقوم على إدراك ذى تعددية شمولية لكل مناحى الخطر المتأتية من الخصم (البلدان العربية) ، إضافة إلى الوعى بالمتطلبات التى تفرضها حركية التطور التقنى السريع فى العالم .

فى المقابل ، ولعرفة مديات القدرة العربية على تحديد استراتيجية لها ومقومات هذه الاستراتيجية ، ترد الدراسة الخاصة بـ (مبادئ الاستراتيجية العربية) كما يراها عالم استراتيجى غربى هو جان بول شارنيه فيقدم لها تقويماً على قدر كبير من الدقة إذ لا ينطلق فقط من اللحظة الراهنة بل يمتد إلى العمق التاريخى والدينى للوطن العربى بهدف استخلاص مقدمات أولية لاستراتيجيته الراهنة . وتطرح هذه الدراسة السابقة حافزاً للمقارنة بين طرفى الصراع العربى الإسرائيلى .

أما الدراسة الخاصة بالحرب الفضائية فهى علاوة على إبرازها للمستويات التقنية العالية التى وصلت إليها الحرب الحديثة بحيث باتت تقارب قصص الخيال العلمى ، فإنها تكتسب أهمية خاصة داخل موضوع الصراع العربى الإسرائيلى وذلك من خلال إعلان

إسرائيل عن دخولها فى مشروع ريغان المسمى (مبادرة الدفاع الاستراتيجى) ، الذى اشتهر صحافياً باسم (حرب النجوم) . إن هذه الخطوة تبرز أن إسرائيل هى أساساً قوة نووية وحيدة فى الشرق الأوسط ، لكنها لا تقف فى تقنياتها العسكرية عند النطاق النووى فقط ، بل تتطلع إلى تقنية عسكرية متقدمة جداً بلغت أعلى مراحل تطورها التكنولوجى العسكرى فى (حرب النجوم) . ففى الدراسة الخاصة بالحرب الفضائية تبرز الحدود القصوى لرقى تكنولوجيا الأسلحة الاستراتيجية والتطور المذهل الذى بلغته ... هذا التطور المحكوم بسيطرة آلية ذات قدرة عالية . ويلقى هذا البحث الضوء بشكل تطبيقى على مفهوم (المعتقد الاستراتيجى) فى أوضح حالات ارتباطه بالتقنية الفضائية وبالميزانية الاقتصادية الضخمة التى تحتتمها أية تغييرات فى القدرة التكنولوجية للسلاح الاستراتيجى المعتمد من قبل دولة ما .

د . علاء طاهر

الفصل الأول

مفاهيم استراتيجية

١ - مفهوم الاستراتيجية

« المنطلق العام والتطورات الحديثة »

الاستراتيجية فى مفهومها العام هى فعالية شمولية من التفكير النظرى الذى يتوخى بلوغ هدف محدد أو غاية ما ، وهذا التفكير يتطور فى مساره لأجل بلوغ هذه الغاية ، فيتمخض عن نسق متراتب لمجموعة من الأفكار المرحلية الشديدة الترابط فى تدرجها الاقترابى نحو هدفها ، وإن مجموعة الأفكار هذه تغدو - بفضل تداخلها التكاملى المنبثق عن توجهها المشترك نحو هدف نهائى واحد - منظومة فكرية متماسكة لا يمكن فصم أحد أجزائها عن الأخرى بسبب بنيتها التكاملية . وبذلك تصبح الاستراتيجية أسلوباً فى التفكير يتوخى الحصول على ثقة وحج صديق ما أو تدمير عدو ما ، وهذا الأسلوب يركز على منظور فكرى بإمكانه تنظيم معطيات الواقع وحقائقه الملموسة ، وفحص وتقويم الإمكانيات الذاتية وإمكانيات الطرف المقابل ، وتحديد العقبات الموجودة أو المفترضة، ثم وضع مسار حركى للفعل التطبيقى للاقترب نحو الهدف ، ومن تحقيقه أو الحصول عليه . إن هذه العملية للفعل والحركة وفق خطة منطقية ذات تسلسل ترتيبي فى التطبيق ، تسمى بالاستراتيجية ، أى أن هنالك مكونين أساسيين فى مفهوم الاستراتيجية : الأول نظرى قياسى تقويمى لما هو واقع ، والثانى تنفيذى يتعلق بصيرورة الممارسة عبر العناصر الأساسية الثلاثة (إمكانية الذات ، إمكانية الآخر ، العقبات) .

إن هذا المفهوم العام للاستراتيجية قد اتخذ محتوى تطبيقياً محدداً عندما استقر داخل العمل العسكرى وضروراته التكتيكية . فإن كلمة استراتيجية أمست متداولة داخل العلم العسكرى لوصف مجموعة الخطط والإجراءات المتبعة لتحقيق هدف دائم ومحدد لجيش ما إزاء أعدائه عامة أو إزاء خصم معين ، وذلك وفق خطة عسكرية تأخذ بنظر الاعتبار إمكانيات الجيش الوطنى وإمكانيات العدو

ونقاط ضعفه لأجل وضع سلسلة من التكتيكات أو الفعاليات العملية التي من شأنها أن تحقق هدفها النهائي . بهذا المعنى استخدمت مفردة «استراتيجية» ، لأول مرة في فرنسا في القرن الثامن عشر بعد أن كانت تعني في أصلها الإغريقي دلالة عامة هي « فن الحرب - L'art de la guerre » . واعتباراً من القرن الثامن عشر بقيت كلمة «استراتيجية» محصورة في استعمالها العسكري دون أن تتوسع لكي تشمل محتواها الفلسفي ودلالاتها الفكرية العامة المحددة سلفاً .

لكن هذه المفردة قد تطورت في استخدامها العسكري عند القادة العسكريين والاستراتيجيين الكلاسيكيين الكبار ، فعند نابليون كان فن الحرب يعني التهيئة الدقيقة والاستعداد والتجهيز المتكاملين للحرب قبل القيام بأية مبادرة عسكرية ، وذلك لكي يكون إحراز النصر الساحق على العدو يقيناً تاماً . أما في المدرسة العسكرية الألمانية التي كان رائدها كلوسفنز Clausewitz فقد تمثلت عنده الدلالة الأساسية لمفردة «استراتيجية» في : تحقيق الأهداف السياسية عن طريق استخدام القوة العسكرية . وقد كُرست هذه النظرية في الفكر الاستراتيجي العسكري الألماني بعد ذلك عبر القائد الألماني مولتكة Moltke . وفي الفكر العسكري الفرنسي الذي رسخه الجنرال فوش Foch أركانه الأساسية كانت الاستراتيجية تعني تحقيق الانتصار التام في المعركة .

وبذلك يكون مفهوم الاستراتيجية في المجال العسكري الكلاسيكي يتوخى بشكل رئيسي تحقيق غاية أساسية هي : تحقيق نصر أكيد على العدو عن طريق تدميره بشكل منظم وكامل . ولقد مثل هذا رأى كل الاستراتيجيين العسكريين الكبار ، نابليون ، كلوسفنز ، مولتكة ، فوش ، كاستيكس Castex ، وجويبير Guibert .

إن أول من بدأ التنظير العسكري الاستراتيجي كان ميكيا فيلي في كتابه «خطابات حول فن الحرب» . Discours Sur L'art de la Guerre.

الذي كتبه بين عام ١٥١٦ وعام ١٥٢٠ ، إلا أن هذا الكتاب لم يحظ بأهميته في الفكر العسكري الاستراتيجي آنذاك ، بل اكتسب أهميته عندما تصاعدت النزاعات العسكرية في أوروبا من خلال الحروب الكبيرة التي بدأت اعتباراً من الحروب النابوليونية .

بيد أن الأهمية العظمى لميكيا فيلي قد بدأت مع كتابه «الأمير» حيث رسم فيه خطوطاً منظمة لـ «استراتيجية سياسية» ، بمعنى تقنية وتكتيك العمل السياسي الذي سوف يحقق المصلحة الشخصية المبتغاة أو مصلحة الدولة . ولذا فإن ميكيا فيلي هو مفكر استراتيجي بالمعنى العام والفلسفي لمصطلح «الاستراتيجية» ، التي لا تنحصر في المجال العسكري فقط بل توضع أيضاً على الفعالية السياسية باعتبارها وسيلة منظمة في التفكير تقود نحو تحقيق الهدف النهائي بعد

مقلنة العناصر الواقعية وتنظيمها وفق خطة تتسق مع الطرف الواقعى العام . ويجسد فكر ميكيا فيلى ، حول الحرب، الدلالات العسكرية نفسها التى التزم بها القادة العسكريون الكلاسيكيون إزاء مفهوم الاستراتيجية .

لقد تغير المفهوم العسكرى الكلاسيكى للاستراتيجية اعتباراً من عام ١٩٤٥ ، بعد استخدام القنبلة الذرية ضد هيروشيما وناكازاكى ، حيث اكتسب هذا المفهوم بعداً جديداً هو الردع ، فبعد أن كانت الاستراتيجية تتجسد فى تحطيم العدو وتحقيق النصر عليه ، أصبحت تعنى بعد دخول العامل النووى ، تحقيق الردع Dissuasion الناتج عن امتلاك السلاح النووى كعامل منع لقيام حرب عالمية موسعة لأجل تحاشى استخدام هذا السلاح ولتجنب الإبادة الجماعية التى يمكن أن يولدها .

ويظهر العامل النووى واكتساب الحرب الحديثة تسمياتها التقنية مثل الحرب التكنولوجية والحرب الميكانيكية .. ثم استمرار الصيرورة العلمية للحروب ، ظهرت مرحلة جديدة من التنظيرات الاستراتيجية واضعة نهاية حدية لكل التنظيرات الاستراتيجية السالفة الذكر والتى لم يبق منها سوى محتوياتها الفلسفية المجردة المتمثلة فى تعميق فكرة التوقعات الشاملة والترابطات العملية لأجل تحقيق النصر . وأهم مدرستين فى الفكر الاستراتيجى المتعلق بالحرب التكنولوجية والنووية الحديثة هما المدرسة التى تمثلها كتابات السير بازيل ليدل هارت Sir Basil Henry Liddel Hart والمدرسة الفرنسية التى مثلها الجنرال أندريه بوفر General Andre Beaufre .

بعد هذه الثورة التكنولوجية فى التقنية العسكرية ، أى دخول القنبلة الذرية إلى حقل الاستعمال، بدأ مفهوم الاستراتيجية بالتطور والاتساع ، بشكل سريع فى اتجاهين : الأول هو التطور التقنى المتلاحق من الاستخدام العسكرى للقوة النووية إلى غزو الفضاء وتسليحه وشحنه بأجهزة الرصد والرقابة للأغراض العسكرية . والاتجاه الثانى هو التطور الحاصل فى العلوم الإنسانية ومناهج التفكير مثل الأنثروبولوجيا والسيولوجيا وعلم الاقتصاد والألسنيات وما فتحت من آفاق علمية حديثة مثل المرنولوجيا والسميولوجيا ، حيث اقترنا حالياً بمفهوم الاستراتيجية بتكوينهما مفاهيم جديدة تتماشى مع الاتساع الفلسفى الحاصل فى الاستراتيجية كمفهوم منهجى فكرى أولاً ، ثم كعلم يرتبط بالعلوم الإنسانية الأخرى .

ثانياً : وفق طاقته الضمنية على التطور فى محتواه لأجل تحديد أكثر دقة لمواصفاته وميدانه . وعبر هذا التطور التقنى – المفهومى النظرى ، انبثقت مفاهيم أخرى مقترنة بالعلم الاستراتيجى منطلقة من مضمونه الأساسى وباتجاه خلق حركية جديدة لمساره المعرفى ونضوجه التراكمى ، ومن

هذه المصطلحات الجديدة على سبيل المثال لا الحصر ، الاستيمولوجيا الاستراتيجية (أو المعرفية الاستراتيجية) ، والأنثروبولوجيا الاستراتيجية ، السسيولوجيا الاستراتيجية ، والفرمولوجيا الاستراتيجية ... وما إلى ذلك . وعلاوة على هذا التداخل بين الاستراتيجية والعلوم الأخرى ، انبثقت مفاهيم فلسفية مجردة ناتجة عن اتساع المحتوى والدلالة الفلسفيين للعلم الاستراتيجي ، من هذه المفاهيم : «الزمن الاستراتيجي» ، «المنطق الاستراتيجي» ، أو العقلانية الاستراتيجية» وما إلى ذلك .

كما حصل تلاحم بين التطور التقني التكنولوجي ، كجانب داخل مفهوم الاستراتيجية وبين الأيديولوجيات السياسية ، ولا سيما الماركسية منها أو اليسارية بشكل عام أو التي توصف بأنها أيديولوجيات راديكالية ، فعندما انبثقت حروب التحرر الوطني والحروب الثورية بأشكالها المتعددة من حرب العصابات إلى حرب الشوارع ، ظهرت معها في الوقت نفسه استراتيجيات خاصة تعتمد في جزء منها على الإمكانيات التقنية التكنولوجية وما توفره من مساعدة على تحقيق الهدف العسكري النهائي ، أي النصر ، وفي جزئها الآخر على البناء الأيديولوجي الذي يكون الحافز الأساسي للحرب ، ويدخل ضمنه المكون المذهبي والنواة العملياتية للحرب الثورية مثل طبقة الطبقة الاجتماعية التي تستند إليها الحرب الثورية كعامل بشري في الفعالية القتالية : الطبقة العاملة ، الفلاحين ، الاتحاد بين الفلاحين و الطبقة العاملة ، أو الاتحاد بين البرجوازية الصغيرة الوطنية والبروليتاريا والفلاحين ... وغير ذلك من فرضيات . ونرى أهم التتظيرات في مضممار الاستراتيجية الثورية تتمثل في كتابات لينين وتروتسكي فيما يخص الاتحاد السوفيتي ، ماوتسي تونغ فيما يخص الصين ، أرستوتشي غيفارا وفيديل كاسترو في أمريكا اللاتينية ، فرانتي فانون أفريقيا ، الجنرال جياب في فيتنام . ثم إننا نستطيع اعتبار كتاب غاندي حول اللاعنف ، نمطاً من أنماط الاستراتيجية « العسكرية ضد العسكرية » ، داخل إطار الحرب الثورية ، أو حرب التحرر الوطني . يبقى المنطلق العسكري أساساً لتطور مفهوم « استراتيجية » ، حيث أمست هذه المفردة تتداخل مع جميع نواحي الحياة المعاصرة وغير العسكرية ، كالناحية الاقتصادية والناحية الاجتماعية ، والناحية السياسية .. والثقافية .. حيث انبثقت مصطلحات ذات مضامين استراتيجية غير عسكرية مثل : استراتيجية اقتصادية ، استراتيجية اجتماعية ثم ، خاصة ، إستراتيجية سياسية التي غدت المصطلح الأكثر أهمية لأنه يتضمن الناحية العسكرية أيضاً والجوانب الأخرى المتعلقة ببنية الدول واستمراريتها وديمومتها ، ثم إن هنالك الكثير من التعبيرات التي ارتبطت بمفهوم الاستراتيجية ، مثل : الاستراتيجية الثقافية ، والاستراتيجية الجنسية ... وغيرها ، وهنا يكون المفهوم العام لها ذا

محتوى فلسفى ، باعتبارها منظومة فكرية ذات مراحل مترتبة تعود إلى الهدف مسبقاً كغاية فردية أو جماعية ، سلمية أو عسكرية ، فالاستراتيجية هنا ديمومة تنظيمية مرتبطة بكل شىء وبكل فعالية حية ذات قدرة ذهنية ، فاللفرد وللأنا استراتيجيتهما عندما يحددان أهدافهما الخاصة فى الحياة بغية تحقيق النجاح والمنافع الخاصة . وفق هذا المفهوم الفلسفى الشمولى ، المحدد منذ البداية ، تنحصر كل صيرورة جماعية أو فردية ، لأنها بدون هذه المنظومة من التفكير ، والتى انبثقت من المجال العسكرى ، لا تستطيع ممارسة ديمومتها أو ذاتها موضوعياً داخل المحيط الجماعى بهدف الوصول الى غاياتها النهائية * .

* انظر المراجع فى نهاية هذا الفصل ، والتى اعتمدنا عليها فى تحديد مفهوم « استراتيجية » ، وكذلك فى تحديد المفاهيم اللاحقة الأخرى .

٢ - بعض المفاهيم الاستراتيجية المعاصرة *

١- المعرفة الاستراتيجية (إبستمولوجيا استراتيجية ، أو علم المعرفة الاستراتيجية)
epistemologie strategique

هو علم تحديد الأسلوب أو النهج الحربى لجماعة ما داخل مجالين :

الأول هو مجال تقنى يتركز فى صيغة ومواصفات الحرب القائمة بأساليبها العسكرية والاستراتيجية المتعددة : (حرب ريف ، حرب ثورية ، حرب تحررية ، حرب استعمارية ، دفاعية ، هجومية ، نووية ، تقليدية الخ) .

والثانى هو مجال زمانى يُعنى بتحديد الحقبة الزمنية التطورية للمجال الأول ، تحديداً تاريخياً مقارناً ، داخل ميدان التطور التاريخى لاستراتيجيات الحروب . فالإبستمولوجيا الاستراتيجية هى علم معرفة تطور الأفكار الاستراتيجية والأساليب العسكرية ، وتحديد المحاور والأسس التى تتحكم بمسار هذا التطور داخل الفكر الاستراتيجى العام للجماعة . إن عملية التحديد واستخلاص المحركات الدائمة الفعالة فى تطور استراتيجية الحرب لدى المجموعة البشرية ، تكون نتاجاً للتداخل البنوي بين حركية الزمن التاريخى وبين الواقع التقنى للجماعة ، وتطور هذا الواقع نوعياً داخل المجال الزمنى ، ثم الإضافات والتحسينات النظرية التى تضيفها الجماعة على استراتيجيتها بشكل يواكب طبيعة التحديات العسكرية المعادية لها . وتتمثل الناحية التقنية للحرب ، بطبيعة الأدوات والمعدات المستعملة والعلاقة بين المستوى التطورى والتكنولوجى لهذه الأدوات وبين الخطط المرسومة للدفاع والهجوم ، بحيث تفرز هذه العلاقة الصفة الاستراتيجية والتكنولوجية للحرب : مثل حرب تحررية ، حرب نووية ، حرب استعمارية ، حرب تقليدية ، حرب فضائية

* كُتبت كل هذه المفاهيم لتتشر فى « الموسوعة السياسية » المجلد الرابع . المؤسسة العربية للدراسات

والنشر ، بيروت

فعلى سبيل المثال ، نرى أن الحرب التى اصطلح استراتيجياً على تسميتها بـ « حرب الريف »
والتي قادها الزعيم الوطنى المغربى عبد الكريم بين عامى ١٩٢٤ - ١٩٢٦ ضد الدولتين
الاستعماريّتين أسبانيا وفرنسا ، تطرح إشكالية أبتسيولوجية استراتيجية كبيرة ، بسبب
خصوصيتها المتفردة والمستقلة عن النماذج الموجودة للحروب ، فهى أولاً حصلت داخل المناطق
الريفية متخذة بنظر الاعتبار الطبيعة الاجتماعية القبلية لسكان هذه المنطقة ، والاعتماد على هذا
المنفذ القبلى كطاقة تحريض ومقاومة فعالة عسكرياً للقوات الأجنبية ، لكن هذه البنية الريفية القبلية
لقوات عبد الكريم لم تجعل حربه حرباً تقليدية ، ولاعتماده على أسلحة حديثة بمستوى أسلحة مشاة
العدو ، والاعتماد على هدف استراتيجى يقع داخل الإطار السياسى الحديث لحركات التحرر
الوطنى ، هو خوض الحرب من أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية وتحقيق الاستقلال الوطنى ،
بحيث إن استراتيجية عبد الكريم فى حرب الريف كانت مصدراً تجريبياً فيما بعد استلمه قواد ذوى
أيدىولوجية ماركسية فى خوض حروبهم التحررية مثل ماوتسى تونغ وهو شى منه ، رغم الطبيعة
الدينية الإسلامية لحرب عبد الكريم فى المغرب .

وفى النهاية لا يمكن وضع « حرب الريف » ١٩٢٤ - ١٩٢٦ ضمن نموذج أحادى فهل هى حرب
تحررية فقط ؟ أم حرب قبلية فقط ؟ أم حرب تقليدية وفق تقنيّتها ؟ أم ثورية ضمن هدفها النهائى
بغض النظر عن طبيعتها القبلية الدينية ؟ إنها ذلك كله لأنها تمثل تقاطعاً أبتسيولوجياً تاريخياً
على مفترق التطور التقنى والأيدىولوجى للحروب تحمل إرهاباً مستقبلياً لتقسيم معرفى
استراتيجى لحروب أخرى مثل الحروب التحررية اللاحقة ذات الأيدىولوجيات العلمانية وذات الارتباط
المزدوج بين المستوى الراهن لتطورها التقنى وهدفها الاستراتيجى من ناحية وبين المراحل السابقة
لمعرفيتها الاستراتيجية .

مجموعة الأفكار والأساليب التقنية والتكتيكية الخاصة بوضع الخطة الناجحة لتحقيق هدف أساسي يتوخى مواجهة العدو وتحقيق الانتصار عليه وفق خطة مبرمجة وذات تكتيك منظم ومرن قابل للتغيرات الجزئية المستجيبة للضرورات العملية الطارئة داخل ساحة المعركة أو ميدان المواجهة ، من غير أن تكون هذه المرونة مؤثرة على الهدف الاستراتيجي الأساسي لخوض المعركة أو على المحاور الجوهرية في تقنية الحرب .

وتكون هذه المجموعة من الأفكار ، المشكلة للمعتقد الاستراتيجي ، منبثقة من الإمكانيات المادية والتكنولوجية الموجودة عند الطرف الأول ومن تقويمه وتقديره إمكانيات الطرف الثاني (العدو) التقنية ، والاقتصادية ، والخبرة العسكرية التي يتمتع بها قادته وجيشه ، ثم أيديولوجيته السياسية وطبيعة التكوين الجغرافي الإقليمي له .

ففيما يخص الحركات أو الحروب الثورية في بعض بلدان مجموعة العالم الثالث ، يكون الهدف الرئيسي على الأغلب هو التحرر من السيطرة الأجنبية وتحقيق الاستقلال الوطني .

ولذلك تقوم الحركات العسكرية في هذه البلدان بعمليات قياس ميداني للثقل العسكري والسياسي للقوى المحتلة لتحديد مبدأ استراتيجي خاص بها ينبثق من هدفها الأيديولوجي الرئيسي، ويتفق عقلاً مع إمكانياتها والأرضية الجغرافية - الاجتماعية (الجيوستراتيجية) التي ستمارس فوقها فعاليتها العسكرية ، فتتخذ من حرب العصابات معتقداً استراتيجياً لها بكل ما يترتب على تقنيته العملية من تفاصيل ومناورات ، أو قد تتبع معتقد الحرب النظامية ، أو حرب الشوارع ، أو حرب الاستنزاف عن طريق مهاجمة القواعد العسكرية للدول المحتلة .

ويختلف المعتقد الاستراتيجي لدى الدولة عنه لدى المنظمات والجيش الثورية ، فتتخذ بعض الدول من الردع معتقداً استراتيجياً لها ، وذلك عن طريق التفوق في التسليح على الدولة الخصم بحيث تمنعها من القيام بأي عدوان دون أن تقرن هذا الردع بأي مواجهة عسكرية .

والمعتقد الاستراتيجي لأية دولة لا يكون ثابتاً وإنما يكون خاضعاً لحالات خاصة من التغير، وفقاً لعوامل عديدة ومتنوعة ، كالتطور التكنولوجي ، وتساعد الإمكانيات الاقتصادية أو تطور الطاقة

التسليحية للعدو ، واتباعه لاستراتيجية جديدة فى الحرب ، والمقاومة والردع ، فمثلاً نرى أن المعتقد الاستراتيجى للولايات المتحدة كان قائماً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) على الاستراتيجية المسماة بـ (توازن الرعب) أو (الرعب المتوازن) ، ولم يتغير هذا المعتقد إلا فى عام ١٩٨٢ ، فبعد أن كانت الولايات المتحدة تتوخى تصعيد كفاءتها العسكرية بالمستوى نفسه الموازى لكفاءة الاتحاد السوفيتى ، أصبحت منذ العام ١٩٨٢ تعتمد على التفوق النووى على الاتحاد السوفيتى عبر التطوير التقنى المتقدم لمواجهة الصواريخ النووية السوفيتية . فإن (مبادرة الدفاع الاستراتيجى) التى أعلنها الرئيس الأمريكى رولاند ريغان القاضية بتدمير الصواريخ النووية السوفيتية داخل الفضاء وقبل سقوطها على أهدافها فى داخل الولايات المتحدة قد غيرت الموازين الاستراتيجية السابقة ، فهذا المنحنى الجديد فى المواجهة النووية ، ينجى الولايات المتحدة من خطر التدمير النووى السوفيتى ، ويجعل أميركا قادرة على ضرب المراكز الاستراتيجية والمدنية المهمة داخل الاتحاد السوفيتى دون التعرض إلى ردع نووى فعال ومدمر من قبل الخصم . إن هذا التطور التقنى الهام فى مجال الأسلحة النووية ، دفع الولايات المتحدة إلى تغيير معتقدها الاستراتيجى العسكرى مقتزناً بميزاتها الاقتصادية التسليحية الخاصة بمثل هذا النوع من المواجهة النووية المتطورة . وإن هذا المعتقد الاستراتيجى الجديد يرتبط جوهرياً وبالضرورة بتغيير الخطط العسكرية ومنظومات الدفاع والهجوم أى أنه طرح تصوراً جديداً للدفاع عن الأمن القومى ومواجهة التحدى العسكرى الأكثر أولوية المتأتى من الاتحاد السوفيتى كخصم استراتيجى أول .

وقد فرض هذا الأسلوب المتقدم فى تقنية الحرب النووية على الاتحاد السوفيتى حتمية إعادة النظر بمعتقده الاستراتيجى السابق من أجل خلق منظومة نووية للدفاع ولل هجوم باستطاعتها أن تمتلك فعالية متفوقة على التقدم الأمريكى فى مجال الصواريخ النووية المعترضة ، وتحقق نوعاً جديداً من التوازن المرتكز على قدرة الطرفين على الردع النووى ، وتدمير العدو بالمستوى نفسه على الأقل أو التفوق عليه نووياً كهدف استراتيجى نهائى . ولأجل أن يكون الاتحاد السوفيتى فى مستوى هذا الهدف ، فإن (مبادرة الدفاع الاستراتيجى) التى أعلنها الرئيس ريغان تتطلب بأن يغير السوفيات معتقدهم الاستراتيجى من ناحية طريقة تكوين منظوماته العسكرية النووية ، والميزانية الاقتصادية المخصصة لها ، والبرنامج السوفياتى فى مضمار الصناعة الحربية ، بحيث يستمر فى مستوى التفوق النووى على الولايات المتحدة مع قدرته على تدمير المدن الأمريكية المهمة ، حتى فى الحالة التى تكون فيها الولايات المتحدة هى الموجهة للضربة الأولى .

ولقد تطور مفهوم المعتقد الاستراتيجى من دلالة العسكرية المخصصة إلى دلالة سياسية،

فأصبح يقصد به أيضاً الأيديولوجية الفكرية الأكثر أهمية وتأثيراً داخل حدود جغرافية - سياسية ما (جيوبوليتيكية) ، بحيث تستطيع هذه الأيديولوجية التحكم بالواقع السياسى - الاجتماعى لبلد أو جماعة بشرية معينة ، وتلعب دوراً أساسياً فى صياغة ضمير الجماعة أو فكرها الذى يواجه جماعة متحدية لها .

وكمثل على ذلك أن المعتقدات الاستراتيجية السياسية فى الوطن العربى هى : الدين الإسلامى ، والقومية العربية ، ثم الماركسية . فإن هذه المعتقدات استراتيجية من حيث إنها توجه دينامية الصيرورة السياسية لمجتمعات هذه المنطقة الجغرافية - السياسية ، وتجعل شرائح اجتماعية كثيرة تؤمن بأن إحدى هذه الأيديولوجيات الثلاث قادرة على تحقيق الأهداف الوطنية المأمولة ، كل أيديولوجية حسب طريققتها الخاصة فى الممارسة وحسب لغتها الخاصة فى تحديد الأهداف العامة والأساسية مثل التحرر الوطنى ، وإقامة نظام يصون حرية وحقوق المواطن العربى ، أو المسلم ، أو الاشتراكى ، ويحدد برنامجاً للتنمية والتطور داخل البلدان العربية ليحقق تقدمها . وفى هذه الحالة يغدو المعتقد الاستراتيجى هو الأيديولوجية الأكثر تأثيراً وهيمنة داخل الوحدة الاجتماعية التى تهدف إلى النهوض بشعوبها والتقدم نحو مرحلة متطورة .

هو تعبير أطلقه رئيس الوزراء الباكستاني ذو الفقار على بوتو عام ١٩٧٩ ، ليصف به القنبلة النووية الباكستانية ومحاولة الباكستان أن تكون قوة نووية بمستوى الدول العظمى . وقد أطلق بوتو هذا التصريح بعد أن غدت القنبلة النووية سلاحاً تمتلكه القوى العظمى ، وبعض دول العالم الثالث ، مثل الهند العدو التقليدي للباكستان ، وإسرائيل كذلك - حسب رأى بوتو ، وبالرغم من عدم تصريح قادتها بذلك - ، ولذلك فإن بوتو يؤمن بأن نجاح الباكستان فى الحصول على قنبلة نووية هو كسب للعالم الإسلامى كله بما أن الباكستان دولة إسلامية . كتب ذو الفقار على بوتو فى كتابه المعروف «إذا قُلتُ» IF I am assassinated : «نحن نعرف بأن إسرائيل ودولة جنوب أفريقيا تمتلكان قدرة نووية كبيرة ، وأن الحضارات المسيحية واليهودية والهندوسية تمتلك هذه القدرة النووية أيضاً . ثم إن القوى الشيوعية العظمى (يقصد الاتحاد السوفييتى والصين) تمتلكها أيضاً ، بينما ظلت الحضارة الإسلامية تفتقر إلى القوة النووية ، لذلك فإن هذا الوضع ينبغي أن يتغير» .

إن بوتو لا يرى الباكستان إلا جزءاً من العالم الإسلامى بما فيه البلدان العربية ، ولهذا فإنه يعتبر امتلاك الباكستان للقنبلة النووية هو امتلاك الحضارة الإسلامية لها . فهو لا يفرق بين القوى الكبرى على أساس أيديولوجى سياسى بقدر ما يميزها على أسس دينية ، وذلك بسبب التحدى الهندى الذى يواجهه الباكستان على أساس دينى ، والكتلة الوحيدة التى يسبغ بوتو عليها صفة سياسية وليست دينية هى الكتلة الشيوعية التى لا يصنفها ضمن المعسكر المسيحى أو اليهودى أو الهندوسى . ومن هنا فإن تعبير «القنبلة الإسلامية» يتجاوز نطاق البعد اللفظى السياسى أو الدينى الأيديولوجى المحض ويتعداه إلى المجال الدينى الحضارى الشامل للإسلام . فالإسلام ليس ديناً فقط بل هو كتلة حضارية فى نظر بوتو لها ثقلها الدولى الذى عليها أن تؤديه بالدرجة الموازية لحجمها . وهو بإطلاقه تعبير القنبلة الإسلامية، يهدف إلى توظيف القدرة الجغرافية - السياسية والعسكرية الاستراتيجية للعالم الإسلامى توظيفاً حضارياً . ولا يرى بوتو وجود أية عقبة بإمكانها منع البلدان الإسلامية من امتلاك القنبلة النووية ، فلا يوجد أى تعارض بين الإسلام وبين امتلاك السلاح النووى . ولذلك جاء إعلانته فى «القنبلة الإسلامية» بمثابة الدعوة إلى المساواة ، وحق الدفاع عن النفس من قبل الشعوب الإسلامية ضد الشعوب ذات الانتماءات الدينية الأخرى . لقد كان

تصريح بوتو ذا أثر فعال ومتجاوب بشكل كبير داخل البلدان الإسلامية ، وكانت فكرة امتلاك القنبلة النووية همّاً سياسياً يسيطر على ذهن بوتو منذ زمن طويل . فخلال فترة نشاطه السياسى الممتدة من العام ١٩٥٨ وحتى عام ١٩٧٧ كان دائم التأكيد على ضرورة امتلاك الباكستان للقنبلة النووية كحاجة أساسية على الصعيد السياسى والعسكرى والحضارى . فقد ركز كثيراً فى كتابه «أسطورة الاستقلال» ، The myth of independan ، المنشور عام ١٩٦٩ ، على ضرورة امتلاك قوة نووية تخدم الباكستان استراتيجياً .

٤- الأنثروبولوجيا الاستراتيجية : Anthropologie Strategique

هى دراسة اعتمادات الوحدة الاجتماعية على النوعية الخاصة بها ، لطبيعة المنهج والخطة العسكرية وأهدافها ضمن عملية الحرب . لكن هذه الدراسة لا تعنى بالحاضر كما هو كزمن مباشر بل تأخذ بنظر اعتبارها التطورات الحاصلة داخل المسار التاريخى للجماعة فى الفكر والتكتيك العسكريين منذ الماضى وحتى الحاضر عبر التقصى العميق لمعتقداتها الدينية وتقاليدها الاجتماعية وما تتضمنه من روابط مع أسلوبها العسكرى وفكرها الحربى .

ويتضمن مادة انثروبولوجيا الاستراتيجية موضوعات تقنية أخرى تستطيع أن تكون عبر تجمعها وتلاحمها العضوى فيما بينها جزءاً أساسياً من مادة الأنثروبولوجيا الاستراتيجية . وهذه الموضوعات هى: التثاقف التكتيكى acculturation Tactique ، ثم السسيولوجيا الاستراتيجية ، والبسيكولوجيا الاستراتيجية .

إن هذه الفروع تكون مفهوماً واسعاً لأنثروبولوجيا استراتيجية واسعة ولكنها محددة ، فهى لا تدخل أو تتداخل مع موضوع قريب منها هو أنثروبولوجيا الصراعات Anthropologie Des Confils أو النزاعات فى مجال العلاقات الدولية الخاصة بالمجتمعات الصناعية ، أو حتى تلك الصراعات التى تسم العلاقات فى المجتمعات التى توصف بالبدائية ، كما لا توجد علاقة بين الأنثروبولوجيا الاستراتيجية وبين التاريخ السياسى للحروب ، فالأنثروبولوجيا الاستراتيجية تستطيع أن تتجسد وفق اتجاهين أساسيين : الأول اتجاه مفهوى تقنى خاص بالعلم الاستراتيجى عبر وسائل العقلنة الاستراتيجية ، ووفق نماذج عينية محددة . والاتجاه الثانى - مفهوم يأخذ بنظر الاعتبار الصراع مع الطرف الآخر بكل منظوماته السلوكية الثبوتية أو المتحركة على حد سواء متخذاً فى هذا الصراع نقطة تحدٍ لفحص الإمكانيات الذاتية للجماعة داخل حالة المواجهة مع الجماعة الأخرى ، بما فى ذلك إشكاليات التجهيزات والإعداد العسكرى والنفسى الشامل فى المعركة ، ورصد التطورات الحاصلة فى مسار الأسلوب الصراعى والمفهوى الحربى للجماعة عبر مراحل الانتقال التاريخى واقتران هذه التحولات بالتطورات والإمكانيات التقنية لدى الجماعة نفسها مقارنة بمراحل تطورها السابقة .

٥- تثاقف استراتيجى : Acculturation Strategique

فى الأساس تعنى مفردة تثاقف Acculturation Strategique عملية التأقلم الاجتماعى المرتبط بالتطور التصاعدى للمستوى الثقافى الخاص بالمجموعة أو بالفرد المنتمى إليها، فهى عملية تراكمية ، كمياً ونوعياً ، لاكتساب المعلومات والخبرة الفكرية عبر التجربة العملية وتطوير المعرفة النظرية .

أما مفهوم التثاقف الاستراتيجى فيعنى التطور النظرى والعملى للجماعة فى مجال الحرب والفعاليات العسكرية واستفادة هذه الجماعة من خبرتها التقنية والتكنولوجية المتطورة، وارتباط هذه الخبرة المادية بتطور مفاهيم ومقاييس عملية المواجهة العسكرية مع عدو خارجى ، أخذة بنظر الاعتبار ما يمكن أن يطرحه أسلوب العدو وتفوقه فى المعركة من خبرات تجريبية ونظرية فى التطور المتدرج والمتقدم نحو الأفضل فى الرؤية والواقع الاستراتيجى لدى الجماعة . ويأتى هذا التثاقف الاستراتيجى عبر عاملين أساسيين : الأول خوض تجربة الحرب ، والثانى التصعيد المتوالى للقدرة العسكرية لدى الجماعة سواء فى مستواها التكنولوجى والتقنى العمليتى ، أو فى استخلاص التجربة الاستراتيجية النظرية عبر فعالية الحرب .

٦- منطق استراتيجى «أو عقلانية استراتيجية» :

Rationalite (ou) Logique Strategique

المنطق الاستراتيجى هو نظام أو نسق من التفكير الذى ينبثق عن عملية تقويم واقع جيوبوليتيكى - عسكرى ما ، لأجل الخروج بمعطيات بعضها ثابت والآخر متحول حسب تغيير طبيعة الوضع العسكرى تقنياً ، أو الوضع الجيوبوليتيكى بشكل جزئى . وهذا النظام الفكرى قد يحتوى على جوانب تركيبية متناقضة مع بعضها ، ولكنها فى التحامها الكلى النهائى تشكل هذا

النظام العام من المنطق . وهذا المنطق منبثق أساساً نتيجة لقياس وضع جغرافى - سياسى - عسكرى ، يمتاز بجوانب أو معطيات ثابتة يمكن أن تفرز استنتاجات ثابتة وفق منطق محدد ينبثق عبر قياس هذا الواقع - الوضع . ووفق المنطق المستنبط نرى أن هنالك شيئاً ممكناً وآخر غير ممكن داخل أى واقع سياسى عسكرى مقترناً بطبيعته الجيوسسيولوجية ونوعية الصراع العربى الإسرائيلى ، إن المنطق الاستراتيجى يرى بأن العرب فى حالة امتلاكهم لقنبلة نووية لن يتورعوا عن استخدامها مباشرة ضد إسرائيل ، بما أن هذه القنبلة تستطيع أن تدمر إسرائيل . مع مراعاة تفكير العرب بتوفير حماية نووية داخل مدنهم الكبرى حرصاً على مواجهة أى ردع نووى إسرائيلى انتقامى مقابل ، وإن عدم توفر هذه الحماية ضد السلاح النووى الإسرائيلى سيكون هو العامل الوحيد الذى يجعل العرب قد يترددون باستعمال القنبلة النووية فى حالة امتلاكهم لها . إن هذا المنطق مبنى على حقائق ثابتة هو وحدة الصراع بين العرب وإسرائيل والطبيعة الحضارية له والجانب العسكرى القائم على السباق العنيف فى التسليح ورغبة العرب فى الحصول على أكثر الأسلحة تطوراً وتقدماً لاستعمالها بلا تردد ضد إسرائيل ذات التسليح المتطور الموجه أساساً ضد العرب الذين يدركون ذلك . إن المنطق الاستراتيجى هنا هو استنباط حقائق ثابتة وفق مجريات الأمور التى يطرحها واقع جغرافى - سياسى - عسكرى . ووفق بنية هذه الموضوعية يمكن بناء منطق استراتيجى لمناطق جيوبوليتيكية - عسكرية من العالم ، مثل الحركات التحررية المسلحة فى أمريكا اللاتينية، أو التواجد السوفياتى فى أفغانستان ، أو الصراع الصينى - السوفياتى وما إلى ذلك .

٧- منظومة استراتيجية «أو نظام استراتيجى» Systeme Strategique

هو نظام جغرافى سياسى مقترن بما يترتب عليه من أهمية عسكرية أو مصالح اقتصادية استراتيجية ، وهذا النظام يتعلق بمجموعة من الدول تكون متجاورة أو متقاربة بالضرورة بحيث يغدو فى الإمكان استنباط معطى جغرافى - استراتيجى من خلال هذا التقارب الجغرافى والاشتراك بصفة جيوبوليتيكية واحدة ، ويبنى هذا المعطى الجغرافى - الاستراتيجى على طبيعة التوافق أو التناقض المتحكم بعلاقات هذه الدول فيما بينها سواء على المستوى الأيديولوجى أو الحضارى أو على صعيد المصالح الاقتصادية ، بحيث تفرز هذه العلاقات بالتالى توافقاً أو تناقضاً عسكرياً بين

هذه المجموعة ، فعلى سبيل المثال يوجد فى منطقة بلدان الشرق الأوسط نظام استراتيجى من وجهة النظر الأمريكية ، يتمثل فى الحفاظ على الموازنات السائدة داخل هذه الرقعة الجيوبوليتيكية . فهى تمنع تصاعد الحركات اليسارية وحركات التحرر الوطنى بالدرجة التى تضر بالهيمنة لطفائها التقليديين والقوى المحافظة فى هذه الرقعة ، وتشكل إسرائيل من جهة وإيران - فى عهد الشاه - من جهة أخرى القاعدة التحتية لطرفى النظام الاستراتيجى الأمريكى داخل هذا الموقع الجيوبوليتيكي ، كما تشكل الدول المحافظة والمحصورة بين هذين الطرفين أعمدة داخلية لثبوتية هذا النظام . كما أن تركيا هى النقطة المركزية ، أو مركز هذه المنظومة الاستراتيجية الأمريكية لأنها (تركيا) تقع فى وضع يتوسط الاتحاد السوفيتى من ناحية ودول أوروبا الشرقية من ناحية أخرى . فالنظام الاستراتيجى هنا هو توازن داخل رقعة جيوبوليتيكية ، يؤدى إلى حماية مصلحة دولة ما والحفاظ على هذا التوازن العسكرى والسياسى داخل هذه الرقعة وداخل المنطقة المحيطة بها والمؤثرة على أمنها القومى أو مصلحتها الاستراتيجية العامة . فإن النظام الاستراتيجى الغربى داخل منطقة الشرق الأوسط يستطيع أن يستخدم طرفية (إسرائيل وإيران) ، أو مركزة (تركيا) فى حالة المواجهة مع الاتحاد السوفيتى ، ليست المواجهة العسكرية فحسب ، بل المواجهات السياسية والاقتصادية وغيرها .

Matieres Strategiques

٨- مواد استراتيجية

هى المواد الأولية التى تشكل مصادر للطاقة والتى تمتلك أثراً فعالاً على القدرة الاقتصادية والعسكرية للدولة فى حالة السلم ، بشكل عام ، وفى حالة الحرب بشكل خاص والتى من خواصها أن تكون مواداً لا يمكن الاستعاضة عنها أو خلقها بطرق كيميائية أو فزيائية صناعية ، بل يتم الحصول عليها عن طريق التعدين لكونها مواداً خاماً ومصدراً للطاقة فى وقت واحد . فتقوم الحكومات المستفيدة منها بشراء كميات كبيرة من هذه المواد تفوق طاقة احتياجها الاستهلاكى لتخزينها بكميات هائلة تحسباً لارتفاع سعر هذه المواد أو شحتها الطبيعية فى المستقبل ، أو تعذر الحصول عليها لأسباب عسكرية فى حالة الحرب . وهذا الخزين لمصدر الطاقة الخام يسمى مادة استراتيجية أو مواد استراتيجية .

مراجع الفصل الاول

- 1- ARon , Raymond : "
- 2- Beaufre, general Andre: " Crises et guerres", ed, press de la Cite. Paris 1974.
- 3- Beaufre, general Andre: " Dissuasion et strategie". ed, A. Colin, Paris 1964.
- 4-Beaufre, general Andre: La guerre revolutionaire; les formes nouvelle de la guerre".ed, Fayard, Paris 1972.
- 5- Beaufre, general Andre: " Introduction a la strategie" ed.A.Colin, Paris 1965.
- 6- Beaufre, general Andre:" Memoire, 1920 - 1940 - 1945". ed, press de la Cite, Plon. Paris 1965.
- 7- Beaufre, general Andre: " Strategie et l'action ", ed,
- 8- Beaufre: " Strategie pour demain; les proplemes militaires de la guerre moderne". ed. Plon. Paris 1972.
- 9- Charnay, Jean Paul: " Essai general de strategie" ed, champ libre, Paris 1973.
- 10- Charnay, Jean Paul: " Technique et geosociologie; Guerre du Rif, le Nucleaire en Orient". ed, Anthropos. Paris 1984.
- 11- Clausiwitz: " De la guerre ", traduction integral par Denis Naville. ed, les editions de minuit, Paris 1955.
- 12- Glucksmann: " Les discours de la guerre", ed, L'HERNE, (10/18), Paris 1974.
- 13- Guibert : " Strategiques", ed de l'herne. Paris 1977.
- 14-Jervis, Robert:" Perception and misperception in international politics;, ed, Princeton University press. Princeton, 1976.
- 15- Liddell Hart, B.H: " History of the first World War". ed. Cassell,

London 1970.

16- Liddell Hart, B.H: " Memoire", Traduit de l'anglais par Jean-Paul Constauntin, ed Fayard Paris 1970.

17- Liddell Hart: " The Red Army - 1917 to 1945, The Soviet Army - 1917 to the present:. ed, Harcourt Brace and Company, New York 1956.

18- Mao Tse-Toung: " Ecrits militaires", Editions en langues etrangeres. Premiere edition de poche. Pekin 1969.

19- Palmer, Bruce: " Grand strategy for the 1980s". Washington, DC: American Enterprise institute for public policy Research. 1978.

20- Pauker (Guy J.): " Military implications of a possible world order crisis in the 1980s". ed, Santa Monica, The Rand Corporation. R-2003-AF, November 1977.

21- Synder, Glenn H. and Diesing, P: " Conflict Among Nations, Bargaining, Decision making and system structure in international crises".ed, Priceton University Press. Princeton 1977.

22- SUN TZU: "L'art de la guerre". Traduit de l'anglais par Francis Wang. éd, Flammarion, Paris 1972.

23- SWINSON, A.: "Singapour, Foudroyante victoire Japonaise". éd Mara bout. Paris 1971.

24- VAN CLEAVE (WILLIAM) and SCOTT THOMPSON "Strategic options for the early Eighties, what can be done?". éd, N.Y National strategic information centre, 1979.

- ٢٥- تروتسكى - ليون : «مختارات من الكتابات العسكرية» تعريب أكرم ديرى ، والمقدم الهيثم الأيوبي ، دار الطليعة ، بيروت . الطبعة الأولى ١٩٧١ .
- ٢٦- لينين ، ف . أ : «نصوص حول المسائل العسكرية» ، تعريب المقدم الهيثم الأيوبي ، دار الطليعة ، بيروت . الطبعة الأولى ١٩٧٢ .
- ٢٧- ماوتسي تونغ : «مؤلفات مختارة» ، دار النشر باللغة الأجنبية ، بكين . الجزء الأول ، الطبعة الأولى ١٩٦٨ . الجزء الثانى الطبعة الأولى بكين ١٩٦٩ . الجزء الثالث ، الطبعة الأولى بكين ١٩٧٠ . الجزء الرابع ، الطبعة الأولى بكين ١٩٧٣ .
- ٢٨- مجموعة من الكتاب السوفييات : «لينين والعلم العسكرى» . دار الفارابى ، بيروت ١٩٧٣ .
- ٢٩- موريز ، إيريك : «مدخل إلى التاريخ العسكرى» ، تعريب أكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩ .

الفصل الثاني

جان بول شارنيه
مبادئ استراتيجية عربية *

نُشرت في مجلة «المستقبل العربي»، يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت العدد
٨٢ ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥ .

دخل عالم الاجتماع الفرنسي جان بول شارنيه إلى حقل التفكير الاستراتيجي بدءاً من عام ١٩٧٣ ، عندما أصدر كتابه الهام «بحث عام في الاستراتيجية» * ، الذي يعتبر أول تنظير فلسفي شامل ودقيق لمفهوم الاستراتيجية ، بعد أن كانت كتابات الجنرال بوثر حول الموضوع ، وخاصة مؤلفه «مقدمة للإستراتيجية» ، تنحصر في المجال العسكري من جهة ، وتغيب عنها غاية نهائية هي إيجاد حدود لفلسفة علمية تنصب فيها الدلالة النظرية لمفهوم استراتيجي من جهة أخرى - دلالة نظرية ضمن الممارسة العملية العسكرية أو المعتقدية الأيديولوجية - إن هذا التحديد الدقيق لدلالة الاستراتيجية - دلالة أحادية ذات بنية متعددة - ظهر في الفكر الاستراتيجي الحديث ، لأول مرة ، مع كتاب شارنيه الألف الذكر ، فطبق تصور فلسفي علمي شامل، درس شارنيه المفردة التقنية «استراتيجية» كما هي مطبقة ومتجسدة في الفعالية التناظرية للتفكير ، مع الارتباط بجذرية منشأها العسكري ، قبل تشعباتها المختلطة آنياً مع المسار التطوري للمفهوم الاستراتيجي .. وحتى اتصاله العامة بفروع معرفية أخرى .

ولأصل التحديد العلمي - فلسفياً - لمحتوى دقيق تكون القاعدة العامة لمفردة «استراتيجية» يضع شارنيه المفهوم ضمن تعريفه : بأن حدية أبعاد الهدف العام لكل غاية جزئية متعلقة بالمجموع هي العنصر المحوري للتخطيط المبني شمولياً لبلوغ مردوداته النهائية . وضمن الثنايا الجزئية لمراحل بلوغ الهدف المتسع تنبثق سمات عامة مشتركة المواصفات في مظاهرها الخارجية ، ومكملة لبعضها في بنيتها الداخلية الناتجة لوظيفة موحدة منبثقة عن المواصفات المرحلية من ناحية، وعن الهدف الأخير من ناحية أخرى ، متراكمة حول محور عقلائي مسترسل ، مكونة المفهوم الاستراتيجي للنقطة هادفة ما ، في حركتها الغائية باتجاه نقطة نهائية أخرى ، تعتبر نهائيتها نسبية بسبب ارتباط نهائية الهدف بتدرج زمكاني ما ، إلا أنها في النهاية تتّمم وضعها في نقطة مركزة واحدة قد تولّد فعل الانتقال إلى نقطة أخرى

*Jean-Paul CHARNAY : (Essai general de Strategie)
Edition Cha mp libre . paris 1973

بعد ترسيخها فى موضعها الأول وتيقنها من الارتكاز فيه بكونه حقيقة ماضية مقترنة بهدف مستقبلى فتمكّن من الانسياق اللاحق للنقطة المرحلية التى غدت بديهية الحضور . هذا من ناحية التعريف العام لمفردة «استراتيجية» كروية بدئية شاملة للوصول إلى الهدف قبل تحوّل هذه الرؤية إلى فعل منظم ومترايب زمانياً وتقاربياً من مرحلة التحقق .

من هذا التصور العام ، يشرع جان - بول شارنيه بفرعيات اكتسبت أهميتها بفعل مسار التاريخ ، منذ العلائق البسيطة والمعتقدات المباشرة إلى العلاقات المتراكبة المعقدة والأيدىولوجيات الأكثر نضوجاً فى محتوياتها أو فى تخطيطاتها من أجل محو الأيدىولوجية النقيض ، أو نفى الآخر من أجل البنية العامة للأنا فى حدودها الفكرية الجامعة . فالاستراتيجية فى الفعل العمليّاتى العسكرى وتقدم هذا الفعل طردياً عبر الزمن جعلها تكتسب جوهر الضرورة العلمية المفروضة على الفكر لأن يمارسها نظرياً قبل الدخول إلى ميدان التنفيذ . وتطورت هذه الضرورة العلمية باتجاه مجالها العسكرى من جهة ، لارتباطها بالتطور التقنى والألى السريع ، ثم لتطور الأيدىولوجيات والمعتقدات السياسية التى التزمت خطة عمل ممنهجة (استراتيجية) فى ديناميتها العملية داخل الواقع ، أو خطة عمل ممنهجة (استراتيجية) فى تشييدها الفكرى وأثره فى الأرضية الاجتماعية أو الحضارية التى تمارس فعلها التأثيرى فى داخلها . من هنا صدرت التفرعات التقنية الدقيقة لمفهوم «استراتيجية» نفسه بحيث لن تعد فقط خطة عمل نظرية فى لحظة استباق على التنفيذ بل توجب انبثاق دراسات أخرى لحيثيات ظهرت مع العصر الحديث مثل : المعتقدات الاستراتيجية ، الحركية العامة للاستراتيجية ، الأستيمولوجيا الاستراتيجية ، العقلنة الاستراتيجية ، الديناميكية الاستراتيجية ، استراتيجية الردع ، استراتيجية الردع النووى ، استراتيجية الثورات ، استراتيجيات التحرر من الاستعمار ، التناقضات المجتمعية - الاستراتيجية ، وبعد هذا البناء المنظورى المتكامل للاستراتيجية كقاعدة تصورية ذات ركائز علمية ومنهجية دقيقة ينتقل شارنيه إلى مجالات أكثر تخصصاً ، فلكونه عالماً اجتماعياً قام بدراسات سسيولوجية ، نظرية وميدانية ، للمجتمعات العربية والإسلامية ، فإنه نقل مجال أبحاثه الاستراتيجية التطبيقية باتجاه العالم العربى والإسلامى ، وشرع فى دراسة الخطة والاتجاه الاستراتيجى لهذه الرقعة الجغرافية السياسية من العالم متخذاً من مواقف السلم والحرب وما يتعلق بهما من نصوص وأدبيات سياسية وعسكرية ، عينة أساسية لاستخلاص خط التطور «المعرفى» وال«استراتيجى» لمجتمعات هذه البلدان وسط كل التابوات والمثىولوجيات أو الأيدىولوجيات الدينية أو العلمانية الحديثة ، وكذلك موقفها المتطور من التكنولوجيا التى أمست الدعامة الأولى لمشروعها الخاص ببناء جيوش حديثة تساعد - فى نظر

سياسى هذه البلدان - على استكمال عملية تحريرها وتقديمها ، وفى هذا الصدد أصدر جان بول شارنيه أول دراسة ذات منظور استراتيجى لبلدان العالم العربى والعالم الإسلامى وخاصة رقعة الشرق الأوسط هى «التقنية والجغرافية الاجتماعية من حرب الريف، إلى الطاقة النووية فى الشرق»* ثم تبعها بدراسة موسعة أخرى تتناول العالم العربى والإسلامى من منظور استراتيجى مخالف منهجياً للدراسة الأولى هى «مبادئ الاستراتيجية العربية» التى صدرت فى كتاب ضخيم أخيراً . ولعرض هذا البحث الشدائد الأهمية ينبغى أولاً إلقاء بعض الضوء على الفارق المنهجى بين هذين الكتابين من ناحية طبيعة وظيفة كل منهما تجاه فهم الواقع العربى الإسلامى استراتيجياً وسياسياً ، أو بالأحرى توضيح الطبيعة الفكرية لكتاب «التقنية والجغرافية الاجتماعية» قبل التوغل فى دراسة «مبادئ الاستراتيجية العربية» .

إن كتاب «التقنية والجغرافية الاجتماعية» هو كتاب يحمل فى مجموعته منظوراً غربياً إلى واقع تطورات الأحداث السياسية فى العالم العربى والإسلامى الحديث والمعاصر ، لكن غريبة المنظور تعنى منهجية صارمة تتوخى سسمة عناصر موضوعها عقائلياً وبمعزل عن الانغماس فى اتجاه أيديولوجى يواكب منظورها ، وغريبة الرؤية أيضاً لا تعنى خارجيتها بقدر ما تدلل على منهجها المتقدم والجديد فى دراسة التاريخ العربى - الإسلامى دراسة استراتيجية الأولى من نوعها بعيداً عن «المنهج» التاريخية المتفشية فى جامعات البلدان العربية وعند «المؤرخين» العرب . وفى الكتاب تزوج بين المقياس الاستراتيجى كروية ، والأداة السوسيولوجية السياسية المتداخلة بدورها مع الخصوصية الجيوبوليتيكية للواقع المدروس . إن هذا التراكب بين عناصر الفحص النظرى هو من الضرورات التى يتطلبها العلم الاستراتيجى المعاصر والتى بلغها فى تطوره التقنى والمنهجى مؤخراً وأسهم فى تشكيل أصالة كتاب شارنيه وتجديده . لقد أثمر هذا المنظور المستحدث للعالم العربى والإسلامى فى تقديم فهم استراتيجى لديناميات تاريخ المنطقة ولحركية هذا التاريخ . بمعنى أنه يبتعد، عن السياق الكرونولوجى التقليدى ويتجه نحوبنية تفكيكية للزمن وفق صياغة أخرى للوحدات التاريخية تتلائم ومنهجية السوسيولوجيا الاستراتيجية التى تأخذ بنظر الاعتبار الأحداث التاريخية على أنها وقائع ، تقوم بتفكيكها لمصلحة منظورها الخاص حيث يمسى الحدث معطى ذا دلالة علمية دقيقة .

, Jean-Paul Charnay " Technique et geosociologie , la guerre du Rif
Le Nucleaire en Orient ", edition anthropos . paris 1984

أما فى الكتاب الثانى - موضوع هذا المقال - «مبادئ الاستراتيجية العربية» * فهو يسير فى المجال الاستراتيجى نفسه لكنه «نقيض» للكتاب الأول من ناحية مصدر تسلسل تكوين الرؤية النهائية، أى لا توجد نظرة غربية خارجية تسهم فى أساسية نصه رغم اتباعه لمنهجية علم الاستراتيجية نفسه غير أن جانب الانطلاق والمعالجة يختلف عن أرضية الانطلاق فى الكتاب الأول .

فـ «مبادئ الاستراتيجية العربية» هو محاولة لاستخراج فكر استراتيجى للعالم العربى والإسلامى عبر النتائج الحضارى لهذا العالم مجسداً بكتابات السياسية والأدبية والفلسفية والقانونية العامة إضافة إلى الخطب السياسية للزعماء الذين لعبوا دوراً حساساً وتوجيهياً فى بعض بلدانه . فالمنظور الاستراتيجى هنا يتأتى وينبع من فكر العالم العربى الإسلامى نفسه فهو منظور داخلى يصنع نفسه بنفسه ، وميزة الكتاب الهامة متأتية من عملية تصنيف النصوص العربية والفارسية أو فى اللغات الأخرى للعالم الإسلامى بعد ترجمتها إلى الفرنسية ، وفيما عدا مقدمة الكتاب لا يوجد أى تعليق على النصوص عند إيرادها وفق تنظيم منهجى يتوخى إبراز تجسيد جوانب تكاملية متتالية لموقف استراتيجى عام ، ونستطيع بوجه ما اعتبار عنوان الفصل ، الذى تُدرج ضمنه النصوص ، تعاليق ، بيد أن هذا العنوان يأتى محايداً على الأغلب إلى الدرجة التى لا تتيح إمكانية عنوان آخر بمعزل عن المعطى النهائى للنصوص المدرجة داخل الفصل بحيث إنها تفرز العنوان وتكونه فى أذهاننا فلا تترك إمكانية ثانية لعنوان آخر يتطابق مع الاتجاه الذى تسير فيه أو مع بنيتها الغائية .

فى مقدمة الكتاب يقوم جان - بول شارنييه بوضع باناروما عامة لـ «استراتيجية» الحرب العربية، كما اكتشفها فى النصوص المتواجدة الآن عبر فترات تاريخية عديدة تمتد فى قدمها إلى ما قبل ظهور الإسلام وتتمثل فى البداية فى قصائد المعلقات التى صوّرت نزعة الحرب والصراع القبلى كفعل مبرر يعامل العرق والعنصر والاعتزاز بالقبيلة كدوافع معنوية أساسية للفعالية القتالية ، فى حين تبدو هذه الاستراتيجية - الدافع ، قد تطورت فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين عندما أصبح القتال بنصوص قرآنية وبدوافع أخلاقية دينية عميقة لم يتغير جوهرها الإلهى عبر العهود التالية للدولة الإسلامية . فمنذ حرب الفتوحات ومروراً بالحروب الصليبية ثم المرابطين وحتى الوقت الحاضر لم تفقد الحروب فى العالم العربى الإسلامى التبرير الدينى كحافز أساسى لقيامها وإن

*Jean -paul Charnay : " Principes du strategie arabe " Classiques
du la strategie . cd,l'herne . Paris1984

كانت قوة ظهور هذا الحافز رسمياً تتفاوت كمياً وليس نوعياً لأنه متواجد عمقياً فى الفعل القتالى العربى على الدوام .

إن النصوص الفقهية الإسلامية أعارت للحرب أهمية كبيرة باعتبارها عملية قتل مقدسة إذا كانت هذه الحرب بدافع دينى ، وجعل الفقهاء من الشهادة أسمى مراحل التضحية والتقرب من الله والطريق الوحيد للدخول إلى الجنة إذا كانت دفاعاً عن الاسلام . وعبر إيراد نصوص قرآنية وفقهية متعددة المذاهب يرى شارنيه ان القتال قد أسمى مقنناً بدقة ضمن الشرع الاسلامى والقوانين الدينية كما تتجلى فى الفقه الإسلامى كمصدر لها . وضمن الهيمنة العامة للرؤية الدينية كتبرير شرعى للحرب ، نرى خطأ رئيسية تحدد خصوصية «الفكر العسكرى» ورؤية للحرب كفعل مرتبط بالوجود الحياتى للمجموعة العربية الإسلامية : إن الحرب دعمت على الدوام بنصوص شفهية (تحولت إلى كتابية بعد ذلك عبر عملية التدوين) ، أو كتابية مباشرة . وهذه النصوص مختلفة فى طبيعة انتمائها التعبيرية ، فهى نصوص شعرية ، أو أدبية نثرية ، فقهية ، فلسفية ، قانونية تشريعية ، تاريخية ، سياسية

والحرب لم تكن أبداً مناقضة أو معارضة للشريعة الإسلامية ، أو للتقاليد العربية القديمة قبل الإسلام . وكانت الحرب تعنى على الدوام بحثاً فردياً عن الطريق الدينى الصحيح من خلال المساهمة فى عمل إيجابى جماعى هو المعركة من أجل انتصار اسم الله وشريعته .

وبعد هذه الجذور التأصيلية ، اتخذت أبعاد الحرب كدعامة فى البناء الاجتماعى ، بالتطور عبر المراحل اللاحقة فى التاريخ العربى الإسلامى ، فارتبط الدافع الدينى بالتكوين «الطبقي» لشرائح المجتمع على صعيد البناء الاقتصادى أو العرقى : نبالة النسب وشرفيته . فداخل الجيش الإسلامى كان للشريحة التى اصطلح على تسميتها بـ «طبقة» الفتيان دوراً فى العملية القتالية ، مختلفاً عن الدور الذى تحتله طبقة الأشراف – عن طريق الثروة أو النسب أو الاثنين معاً – داخل الجيش وعملية القتال . وفى الحروب الصليبية مثلاً كانت الطبقة العربية النسب تحتل صنف الخيالة وليس صنف المشاة وصنف الخيالة – أى الفرسان – هو العامل الأكثر أهمية فى الفعل القتالى لأنه صنف ضارب وعلى قوته وعدده وعدته يتوقف كسب المعركة ، وصنف الخيالة فى الجيوش الإسلامية يقابل صنف الفرسان فى الجيوش الأوروبية أثناء الحروب الصليبية ، لأن الفرسان أو الخيالة الأوروبية كانوا يمثلون الطبقة النبيلة فى المجتمع المسيحى فى القرون الوسطى . وكانت النبالة وطبقة الأشراف فى المجتمع العربى الإسلامى تعنى أن يكون الفارس من أصل عربى عريق مقترن بمكانة دينية وسلوكية دينية عالية الالتزام ، ولكن عندما برز صلاح الدين الأيوبي كأهم قائد فى الجيوش الإسلامية أثناء

الحرب الصليبية ، فانه قد حطم قاعدة أو عرفاً بكون الطبقة النبيلة فى الجيش متوقفة على نسبها العربى ، لأن صلاح الدين كان من اصل نبيل كردى ، ولم يكن عربياً ، كذلك برز الكثير من الأبطال الفرسان فى الحروب الصليبية من أصول تركية وشركسية نبيلة وإسلامية ، فتغير المقياس المتعارف عليه فى نبالة طبقة الخيالة فى الحرب فلم تعد النبالة محصورة بالأصل العربى النبيل بل بالأصول النبيلة الأخرى غير العربية على أن تكون ذات التزام إسلامى عميق يؤهلها للقيام بالجزء الأكبر من العملية القتالية (فى صنف الخيالة) دفاعاً عن الإسلام ، بتدرج هذه المتطلبات الدينية – الحربية نشأت الطبقة الأرستقراطية العسكرية داخل المجتمع العربى الإسلامى ، وأمسّت طبقة متفتحة عرقياً غير أنها تعتبر الالتزام بالإسلام هو المقياس لنبالتها علاوة على انتمائها العائلى ، ويربط شارنية بين الفارس الخيال وبين أعمق التقاليد الدينية ورعاً مثل التصوف ، ويورد بعض الأمثلة المتجلية فى سيرة بعض القديسين فى الإسلام مثل الحلاج الذى شوهد بعد موته – كما تقول إحدى روايات الميثولوجيا الدينية – يركب فرساً ويريدى لباس فارس خيال ويحمل رمحاً ، والاختيار الاستراتيجى لهذه الرواية يدل على العلاقة العضوية بين الطبقة العسكرية الأكثر قتالية واستبسلاً يبين أعمق حالات التدين والورع متمثلة بالتصوف الشيعى فى الإسلام . ثم يعقد علاقة ، وفق التحليل الاستراتيجى نفسه ، بنى طبيعة السلاح المستعمل والبعد الرمزى الدينى له ، فالرمح سلاح مقدس ولذلك يحمله الفارس ويقا تل به علاوة على السيف ، فالآلة الحربية هنا جزء من نبالة الطبقة فى مدى إخلاصها وتجسيدها لروحية الإسلام ، وجزء أساسى من حقيقة الدين وقيمه الرمزية والروحية ، فالرمح هو السلاح الذى استخدم لرفع المصاحف فى معركة صفين لإعلان طلب إيقاف القتال والجنوح إلى المفاوضات السلمية والهدنة ، وهذا الرمز (الرمح + المصحف) كان كفيلاً بإيقاف القتال من قبل الجانب المنتصر والرضوخ إلى مطلب الجانب الذى أوشك على فقدان المعركة نهائياً . هنا نتيقن بأن الطاقة الروحية للذين الإسلامى لا تقن القتال كفعل الهى فحسب ، بل تقوم بترميز أدواته المادية أيضاً وتضفى طبيعة ذهنية خاصة للتعامل معها .

وأهمية السلاح كهئة معنوية لا تتوقف عند ارتباطها المباشر بالدلالة الدينية بل تتجاوزها إلى الطبقة الاجتماعية ومكانتها حسب التراتب الاقتصادى الذى لم يرق فى ذلك الوقت الى بلوغ صفة طبقة بمعناها المحدد حديثاً ، وإنما فئة اجتماعية تمتلك مواصفاتها الخاصة داخل البناء العام للمجموعة الحضارية ، ثم تمتد هذه الدلالة إلى عمق الالتزام بين الطبقة – الفئة والدين الإسلامى متمثلة فى درجة ورعها وتقواها .

هذا ما يتعلق بالحرب كنضال جماعى له خلفيته الأخلاقية والروحية ، أما فيما يتعلق بالنضال

والموت الفردي متمثلاً بالفدائي الذي يضحي بحياته في الظل ويمارس موته المتوحد في العزلة الاختيارية ، فإن شارنيه يأخذ الفدائي الفلسطيني كحالة من استراتيجيات الحرب العربية ويقول بأن الفدائي هو الذي يمارس « الإرهاب » ، ويضع شارنيه كلمة إرهاب بين قوسين للتدليل على الموقف الغربي من العمل الفدائي الفلسطيني . فإن مثل هذا الموت له مرجعيته الشرعية في الإسلام أيضاً بالاستناد إلى مصادره الأولى أو نصوصه الفقهية التفسيرية ، فالإسلام يجيز للفدائي عمله العنفي بشرط ألا يكون هذا العنف موجه ضد المسلمين ، إن المقياس الديني الشامل هنا ، قادر على إعطائنا تصوراً أولياً لما سيكون عليه الفكر الاستراتيجي العربي كفكر غير منفصل عن الدين كمرجع تبريري لديناميته .

يتطرق شارنيه أيضاً إلى موقف الإسلام من الإرهابيين الفرديين الذين يدينهم ويكفرهم ، مثل بعض الخوارج الذين مارسوا الإرهاب ضد الخلفاء الراشدين أو ضد بعض الشخصيات الإسلامية الكبيرة ، مثل الخارجي عبد الرحمن بن ملجم الذي اغتال الإمام على ابن أبي طالب ، وهم يختلفون من الإرهابيين الذين تحركوا بدافع إسلامي واغتالوا الرئيس المصري أنور السادات فمثل هؤلاء « الإرهابيين » الفرديين يبرر الإسلام فعاليتهم العنيفة بسبب استنادها إلى دوافع دينية لتصفية شخص يتناقض وجوده في السلطة السياسية مع مصلحة الدين الإسلامي . من هنا كان الدافع الديني هو العامل الأساسي في تحكمه في الاتجاه الاستراتيجي في الوطن العربي ، لأن الدافع العربي قبل الإسلام لم يكن حافزاً استراتيجياً منطلقاً من العرق والقبيلة بالأهمية نفسها التي مثلها الإسلام منطلقاً من خلفية نصرته الدين وإعلاء كلمة الله . فلم تكن الحرب في الإسلام حرباً بالمعنى العسكري المجرد والمحايد ، بل كانت فعلاً عنيفاً مقدساً جسدت كلمة « الجهاد » ، إن الجهاد كعصب حيوي في النص القرآني والسنة والمؤلفات الفقهية ، شكّل نواة « الاستراتيجية » العربية ، وهو النقطة التي ركز عليها جان بول شارنيه في كتابه واهتم بإبرازها عبر كل النصوص والأدبيات المختارة للتدليل على تواجدها الاستمراري منذ العهود الأولى للإسلام وحتى وقتنا الحاضر باعتبارها حافزاً منطقياً للحرب يتجلى عبر تشكيلات متعددة متباينة داخل الحركية العسكرية أو النضالية في التاريخ العربي . ويرى شارنيه في الجهاد مفهوماً حضارياً خصوصياً ينعكس في الممارسة « الاستراتيجية » للعالم العربي عموماً ويمتلك دلالات خمساً اكتسبها خلال حضوره التاريخي الدائم كهدف وحافز للعملية القتالية هي :

١ - دلالة سيولوجية ، بتنظيمه للعنف داخل المجتمع المحارب

٢ - دلالة طقوسية ، ولأن الجهاد يتخذ شكل طقس ديني هام مثل الصلاة والصيام ، بل أكثر

أهمية منها فى حالات معينة.

٣ - دلالة أخروية ، أى ما يتعلق بمعتقدات يوم القيامة وما بعد الموت .

٤ - دلالة ثيولوجية فقهية تقر بأن الجهاد يحقق ضرباً من إعادة التوازن السياسى والاقتصادى والاجتماعى داخل الوحدة الاجتماعية الإسلامية

٥ - دلالة جيوبوليتيكية ، تلعب دوراً هاماً فى تحديد المجال الجغرافى للفعالية السياسية والمعتقدية للإسلام كوضع وهيمنة دولية داخل رقعة أرضية ما .

لم تتوقف هذه الدلالات الشاملة للجهاد عند الحدود الكلاسيكية للمفهوم بل اكتسبت اتساعاً وتعقيداً عبر الزمن ، حتى أن استخدامه من قبل الأنظمة السياسية العربية المعاصرة أخذ يعنى التطور التقنى والعمرانى ومواصلة حركة التحرر الوطنى ، فقد ظل الجهاد من ناحية محتواه العام أساساً منحصراً ضمن الحدود الدينية كأصل ومنبع له ، بيد أن المفردة فى تفرعاتها وحركية المضامين المضافة إلى دلالاتها المعاصرة امتدت لتكون ضرباً من التوفيق بين الأيديولوجيات السياسية المعاصرة وبين الإسلام كأساس تراثى للمجتمعات العربية ثم أن الجهاد فى اتساع مفهومه المعاصر اقترب ، بل تطابق فى بعض الأحيان ، مع مفردة الثورة كمفهوم سياسى معاصر فى البلدان العربية والإسلامية ، بالرغم من أن هذه المفردة ذات استعمال أوربى فى الأصل ، حيث ازداد استخدامها اعتباراً من قيام الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر ثم أضحت وصفاً مواكباً لغلبيات شعبية أخرى ضد السلطات القائمة . وعندما دخلت القاموس السياسى العربى كانت تقتصر فى البداية على التنظيمات الماركسية خاصة أو الحركات والتنظيمات اليسارية عامة ، ثم أُمست أكثر استخداماً فى وصف الانقلابات العسكرية القومية ضد الأنظمة الملكية ، وباندلاع الثورة الفلسطينية وانبثاق حركة المقاومة المسلحة للشعب الفلسطينى ولد مفهوم آخر للثورة واستراتيجية جديدة عبر الفعالية القتالية للمقاومة . ثم امتد مفهوم الثورة إلى الحركات الدينية مثل الثورة الإسلامية فى إيران .

إضافة إلى هذا الرصد التطورى لمفهوم الجهاد يقوم جان - بول شارنييه بنمط آخر من الرصد لهذا المفهوم ينحصر فى بعدين : الأول تاريخى زمنى والثانى دينى أصولى من ناحية اقترابه أو ابتعاده عن المنظور الإسلامى كما هو مجسد فى القرآن و السنة والأحاديث النبوية والفقه ، ثم كممارسة حديثة وأقعية داخل التاريخ الإسلامى . وزمنياً يرصد التواصلية التى لم تنقطع للجهاد كدينامية تحرك كل شيء منذ فترة الخلفاء الراشدين ومروراً بكل الصراعات بين الاتجاهات والمذاهب الإسلامية المختلفة وحتى الحركة المهدية فى السودان فى القرن التاسع عشر ، والثورة الإسلامية

فى إيران ، فالجهاد هذا المسار التاريخى كان الأرضية الأساسية لبناء كل استراتيجيات الحروب والتنظيمات والحركات السياسية والعنفية .

بعد هذه المقدمة النظرية التى شيدها شارنيه على دراسة ميدانية للنصوص وحركات الصراعات العسكرية والنضالية داخل العالم العربى قام بإعطاء مسارها الدلائل الواقعى عبر مئات النصوص المجموعة فى الكتاب والتى تم اختيارها بدقة متناهية بعد قراءة واسعة ومتنوعة المجالات للتراث العربى الإسلامى منذ شعر المعلقات حتى خطابات الإمام الخمينى والرئيسين جمال عبد الناصر ومعمار القذافى .

خضعت عملية اختيار النصوص إلى مقياس يأخذ بنظر الاعتبار مدى الأهمية المرجعية والأصولية لها ، فعبّر أربعة عشر قرناً من التاريخ العربى الإسلامى ، تبرز نصوص معينة دون غيرها ، تبدو الأكثر قدرة على بناء خلاصة مكثفة لفكر استراتيجى عربى .

يحدد شارنيه وفق نظرة نقدية سسيو- استراتيجية ، المصادر الأساسية للفكر «الاستراتيجى» العربى بما يلى :

– القرآن . كأصل لكل فعل فردى أو جماعى ، أخلاقى فهو مازال المصدر الفكرى الأكثر تحكماً ، أو نستطيع القول تغلباً فى المعتقدات السياسية المعاصرة بالرغم من التعدد الأيديولوجى الراهن فى العالم العربى . من هنا يقوم شارنيه بقراءة استراتيجية دقيقة للقرآن مستخلصاً الآيات التى تخص الحرب والعمليات العسكرية والنظرية الدفاعية أو الهجومية أو التعبوية ، أو فيما يخص معاملة الأسرى وأخلاقيات الحرب الأخرى ، ثم يصنفها وفق التنظيم المنهجى الذى يبرز رؤية شاملة لفكر استراتيجى عربى- إسلامى ، أو إسلامى- عربى ، كما يتضح من المسار التتابعى للنصوص المختارة .

– بالنسبة للفترة الكلاسيكية التى تبدأ منذ عهد الخلفاء الراشدين ، فقد وقع الاختيار على الأسماء الأكثر شهرة فى الأدب ثم نصوص المؤلفين الأكثر تخصصاً على مستوى الكتابات السسيو- تاريخية و ذوى الأسماء المعروفة باعتبارهم تأسيسيين أو قد شكلوا تيارات هامة فى الفكر الاجتماعى السياسى والتاريخى فى العصر العربى الكلاسيكى ، كذلك اعتمد شارنيه على نصوص بعض المعاهدات والأبحاث التقنية الخاصة بالحروب والناحية العسكرية فى الدولة الإسلامية.

– حول الفترة المعاصرة ، تجاوز جان- بول شارنيه عقبة غزارة النصوص المتوفرة من صحف

وبيانات وخطابات سياسية ووثائق ... إلى الاختيار الدقيق بعد القراءة الشاملة للنصوص الأكثر خطورة وأهمية في خطب القادة العرب المعاصرين متوخياً في الاختيار أهمية القائد ، ومدى تكوينه لتيار سياسى قوى أو دينى أو علمانى ، وأهمية الحدث التاريخى الذى حتم الخطبة السياسية (على سبيل المثال خطبة عبد الناصر فى ٩ حزيران ١٩٦٧ بعد الهزيمة مباشرة ، وخطابات هامة للرئيس القذافى أو للإمام الخمينى والمهدى بن بركة و لصدام حسين و لهوارى بومدين ...) ثم البيانات والمواثيق السياسية للأحزاب والمنظمات الهامة ثم الزعماء الدينيين من مختلف المذاهب (من شيخ الأزهر إلى رجال الدين الإيرانيين بعد الثورة الإسلامية) .

— حول تعددية المدارس الفقهية فى الإسلام ، اعتمد شارنييه على المفكرين الأكثر بروزاً فى التنظير الفكرى السياسى للمدرسة ، وفى المذهب الحنبلى اعتمد على ابن تيمية كمنظر فقهى — سياسى يلتصق بالواقع منطلقاً من المقاييس الفقهية لهذه المدرسة ، وفعل مثل ذلك فيما يخص المذهب الحنفى والمذهب المالكى والمذهب الشافعى ثم المذهب الشيعى ، هذا علاوة على اعتماده على نصوص إمام المذهب نفسه فى بعض الأحيان فى حالة تجسيدها لارتباط سياسى بالواقع الراهن بحيث تفرز نصاً ذا معطى استراتيجى مباشر ، وفى الخطاب الإسلامى المعاصر اعتمد مدارس التجديد التى وضعت فكرها داخل اتجاهات سياسية أو فكرية تحاول اقتناص مواقع نظرية مؤثرة داخل ظرفها السياسى — الاجتماعى المتاح . من هذه النصوص اعتمد شارنييه على كتابات رشيد رضا وحسن البنا ، ومحمد شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وغيرهم من المؤثرين فى المجال السياسى الإسلامى المعاصر .

خضعت النصوص لتنظيم دقيق فى الجمع والتصنيف ضمن فصول معينة . فقد فقدت كونها نصوصاً مجمعة فقط ، فبفضل التصنيف الاستراتيجى لها أمست ذات دلالات جديدة لم تستطع اكتسابها فى حالة كونها نصوصاً مجردة كما كانت سابقاً أو كما وضعت من أجل غرض فكرى خاص . عبر تقسيم شارنييه لها وتنسيقها بشكل خاص أصبحت بنيتها ومضامينها الداخلية قادرة على منح معطيات أخرى أكثر خصوصية فى عرض العناصر والمحتويات الأساسية داخل هذه النصوص . فعنوان أى فصل هو الدلالة الدقيقة على أحد المكونات النظرية للاستراتيجية العربية مدعوماً بنصوص تحقق البعد الميدانى للتخطيط النظرى المسبق من خلال العنوان . ويذكر عناوين الفصول مع نظرة عامة لأهم ما تحتويه من اختيارات نصية ، يمكن معرفة الفكر الاستراتيجى العربى وعناصره بعد دراستنا لمقدمة الكتاب بشكل وافٍ .

يحمل القسم الأول عنوان : الأخلاق ، وينقسم إلى فصول فرعية تتناول النواحي الأكثر دقة وتقنية فيما يتعلق بأخلاق الحرب وتعاليمها وسلوكياتها في التاريخ العربي - الإسلامي كما تجسدها النصوص . ففي الفصل الرئيسي المعنون « قداسات ونواحيات حول المعارك » يورد شارنيه النصوص التي تمجد الحرب بنفس عاطفي وافتخاري ، ثم النصوص التي تبرز الموقف الحزين ولكن المتقبل تماماً للحرب كوظيفة ودور ضروري أو مقدس داخل المجتمع العربي - الإسلامي . وتحت عنوان فرعي للفصل بعنوان « تأسيس وترسيخ الإمبراطورية العربية الإسلامية » نرى النص الشعري الذي يقدر الحرب ويفتخر بها عربياً وقبلياً أي نص معلقة عمرو بن كلثوم التي تعتبر من أعظم قصائد تمجيد الحرب على الصعيد العرقي العربي القبلي ، ثم تتوالى النصوص التي تبرز المواهب الجغرافية الاستراتيجية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وتوضح سلوكيته في فعالية الحرب من اعتباراته للعامل الجغرافي ، أو جدليات الهجوم والدفاع المتوقفة عليه ، إن هذه المعلومات تظهر عبر نصوص المقدسي والطبري والبخاري . ثم تنتقل النصوص من الحروب الصغيرة أو الداخلية ، إلى الغزوات الكبرى التي تتعلق بالفتوح وتوسيع الإمبراطورية الإسلامية ، مثل غزوة القدس التي يرددها ابن كثير في كتابه الشهير « الكامل في التاريخ » ، ثم غزوات صلاح الدين الأيوبي .. حتى المعارك الكبرى مثل الغزو المغولي لبغداد وسقوط الخلافة العباسية .

ومن العصر الكلاسيكي تنتقل النصوص في تواردها إلى العصر الحديث ، مصورة المنطلق الأساسي لها وهو الأخلاق كروية استراتيجية تمثلت داخل الفكر العربي الإسلامي وفق تنظيم متراص ومتلاحم رغم التباين في الفترات الزمنية . ومن نصوص العصر الحديث نرى الأدبيات التي أفرزتها حركة التحرر الوطني ضد الاستعمار الأجنبي ، مثل بعض خطب عبد القادر الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي ، ثم نصوص السنوسي في ليبيا ضد الاستعمار الإيطالي ، وبعض النصوص الفقهية والدينية حول معاملة الأسرى من قبل الجيوش الإسلامية . ثم الفتاوى الدينية التي أصدرتها الدولة العثمانية عند إعلانها الحرب العالمية الأولى ضد الحلفاء الأوروبيين المسيحيين ، فإن إعلانها للحرب هو إعلانها للجهاد بسبب التباين الديني ، ويختتم فصل النضال ضد الاستعمار وفق الاتجاه الأخلاقي الإسلامي العربي بنصوص فلسطينية من فترة الثلاثينات ، ثم تقسيم فلسطين وإعلان دولة إسرائيل وحرب ١٩٤٨ ، والنكسات المتتالية في مضمار القضية الفلسطينية مثل حرب ١٩٥٦ ثم هزيمة حزيران ١٩٦٧ ثم أيلول الأسود ١٩٧٠ ، مجسدة في رسم خط استراتيجي عبر خطابات عبد الناصر وزعماء

مثل ياسر عرفات ونايف حواتمه ، إلى النصوص الأوربية الفلسطينية مجسدة في أشعار محمود درويش وتوفيق زيادة .

فى قسم « الأخلاق » كدعامة استراتيجية فى الفكر العسكرى النضالى العربى نكتشف عبر النصوص المجمة منذ العصر الجاهلى لحد الآن ، حقيقة أن الفكر العربى لم يتغير بنيوياً على الصعيد الاستراتيجى مواكباً القضايا المواجهة له واقعياً أو الأحداث التاريخية ذات التطور التعددى، وإن التطور الوحيد الذى طرأ عليه لا يمس بنيته الداخلية بل مفرداته اللغوية أو شكله التعبيرى وليس محتواه ، فطبقاً لكل مرحلة تاريخية ، تتغير مفردات وأشكال التعبير بحيث تنتج صيغة أخرى للتعامل مع حدث التحدى الخارجى ، فأمسى التعبير « أقل » مباشرة وتكشفاً من الصراحة اللغوية الكلاسيكية التى كانت أكثر اتساقاً مع نواياها الضمنية وانتماءاتها الواضحة التى لم تتعلق بنمط من الاعتبارات السياسية للرأى العام المتطور ولوجهة نظر الآخر أو للمواطن المتلقى الذى تصاعدت قدرات وعيه السياسى فى فهم النص المطروح أمامه من قبل المؤسسة السياسية ، فالشكل قد تغير إلا أن الجوهرية الفكرية قد بقيت محافظة على بناها القديمة .

وعبر تنسيق الخطابات والنصوص من دون أى تعليق من المؤلف ، نستطيع أن نستشف حقائق عمق هذا الصمت المحايد والمتطرف التعبير فنكتشف أن خطابات عبد الناصر تحمل المباشرة نفسها التى تسم الخطابات الجاهلية ، لكن النص الجاهلى ينبع من عمق حضارى متفق مع نفسه ومقترن بمتانة لغوية عالية فى حين أن خطابات عبد الناصر تتصف بمباشرتها بسطحية كبيرة لا تعبر بدقة عن وقائع الأمور ، وأنها غير متفقة مع نفسها علاوة على سذاجة و ركافة لغوية مرتبطة باللهجة العامية التى يستخدمها عبد الناصر ، بعيداً عن الدقة والتحديد المميزين للغة العربية الكلاسيكية .

ينتقل شارنيه بعد ذلك ، وضمن قسم الأخلاق أيضاً ، إلى جانب آخر منها يتعلق بأخلاقية المحاربين ، ومقاييس الشرف القتالى داخل الحرب فى مفهومها الإسلامى . ثم بالتناسقات المتداخلة لطبيعة السلاح وعلاقته بالفرد المحارب والنص الدينى الذى يجعل منه مسألة تبريرية شرعية ممزجة بالتعاليم الإسلامية القتالية ومرجعها الفقهى ، وتندرج تحت هذا الموضوع نصوص لأبى هذيل الأندلسى والجاحظ والماوردى (صاحب الأحكام السلطانية) . وضمن هذا النمط الأخلاقى التخصصى والشديد الانحصار فى إطار الاستراتيجية الإسلامية للحرب تندرج النصوص المتعلقة بالشهادة والبطولة من العصر الإسلامى الوسيط وحتى الوقت الحاضر، فتزد

نصوص تم اختيارها بدقة متناهية لأبى هذيل الأندلسى ، الطبرى ، المسعودى ، الراقدى ، الفارابى ، الجاحظ ... إبراهيم طوقان ثم الفدائية الفلسطينية ليلى خالد ونصوص مختارة من بيانات جبهة التحرير الجزائرية ، وخطابات لياسر عرفات ، ثم لمعمر القذافى ..

وفى القسم الثانى الذى حمل عنوان « براكسيولوجى » praxeologie . والكلمة مأخوذة من المفردة الألمانية praxis ذات الأصل اليونانى ، الدالة على الفعل وفق حدوده العلمية ، نرى تفرعين أساسيين : الأول يتناول « فلسفة الحرب » وبناءها التقنى نظرياً عبر « المعركة كحركة أو كتطور » وعبر الحرب كفاعلية تعكس آثارها المباشرة على وحدة الأمة الإسلامية أو تكون انعكاساً لهذه الأمة من جانب آخر .

وفى الحرب كتطور داخل المجتمع العربى - الإسلامى نرى نمطاً من الالتحام الطردى بين الثقافة والسلاح ، أو بين العلم والتطور التقنى داخل المجتمع من جهة وبين الفعالية العسكرية للجماعة من جهة أخرى ، وبقي هذا التطوير متصلاً منذ عهد الخلفاء الراشدين حيث كانت التحديات العسكرية الخارجية ذات عنف عدائى يحتم الدفاع عن النفس عن طريق الهجوم وتأكيد الوجود الإسلامى كقوة حضارية ، وامتد حتى العصر الحديث عندما أمست التحديات العسكرية حقيقة دائمة التواجد ، لكن ، وفق بنى وأيديولوجيات متباينة ، وخلال هذه الرؤية للمعركة كتطور ، تندرج نصوص مختارة منذ عصر صدر الإسلام حتى اللحظة التاريخية الراهنة مثل : خطب للخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، ثم أشعار لأبى تمام ، نصوص متفرقة للإمام الغزالى ، ابن خلدون ، ابن حوقل جمال عبد الناصر ، آية الله شريعته (مترجمة عن الفارسية) ، نصوص فقهية وقانونية إسلامية للماوردى والشافعى ورشيد رضا ، نصوص من المنشورات والبيانات السياسية للإخوان المسلمين والمرشد حسن البنا ، ثم لبعض الرؤساء العسكريين فى العالم الإسلامى غير العربى مثل الجنرال ضياء الحق فى الباكستان .

وتندرج نصوص أخرى فيما يتعلق بالحرب ووحدة الجماعة الإسلامية ، فيختار شارنيه على الأغلب نصوصاً فقهية لتجسيد التصور الإسلامى القانونى الخاص بهذا الجانب الهام داخل المجتمع الإسلامى ، ومن ضمن الفقهاء الذين يمثلون القانون الإسلامى فى أقصى حدوده نصية وتحديداً هو ابن تيمية المنصوى تحت الاتجاه الحنبلى فى الفقه .

من النص الفقهى المختص بالحرب والجماعة الإسلامية ينتقل الكتاب إلى نصوص فقهية وقانونية محضة فى معالجته للفرع الثانى من قسم «براكسيولوجى» فى تناوله لجانب «القواعد

التشريعية والقواعد القانونية» التى تشتمل على «قانون الحرب» لدى العرب المسلمين وما يلتصق بالحرب من قوانين القتال وأخلاقياته وأحكامه حسب الفقهاء والفلاسفة الإسلاميين المستشهد بهم مثل : أبو يوسف ، ابن رشد ،... ثم محمد شلتوت (شيخ الجامع الأزهر) ، حيث وردت فى نصوصهم المسائل الخاصة بقواعد الحرب والتطبيقات الداخلية لها ثم وسائلها التقنية الدقيقة مثل الخدعة والهجوم وإعلان الحرب ، والمنهج العملي المترب عليها حسب النصوص الواردة . ولا تقف النصوص عند العمليات الحربية بل تمتد إلى السلام كجزء من العملية العنيفة ، وتتناول قوانين وأصول الهدنة أو المهادنة ومعاملة الأسرى وما إلى ذلك من تفاصيل تقنية خاصة بفعل السلم .

ثم يأتينا فى الكتاب قسم فرعى حول العنف والدين كمسألة مضادة أو قضية مبدئية مرتبطة عميقاً بالإسلام وفق تطبيع فقهى وقانونى للفعل العنفي داخل المجتمع باقتترانه عضوياً بقضايا التثوير الدينى وجوهره الجهادى . وترد فى هذا القسم الفرعى نصوص حديثة بدافع حداثة القضية المطروحة على الحركات الإسلامية والتطور المستجد لمتطلباتها الفعلية حالياً . فنقرأ نصوصاً لمحمد شلتوت وكتاب إسلاميين آخرين ومعاصرين ، أولاً تتوغل النصوص المختارة ، فيما بعد ، داخل الفترة الكلاسيكية كتوضيح للجزور الفقهية الأصلية حول قضية العنف التى استقت منها النصوص الحديثة تبريرها الشرعى ، فنقرأ مختارات لأبى يوسف والبخارى وغيرهما .

تنتقل النصوص من قضية التثوير الشرعى إلى معالجة شخصية ومواصفات أمير الحرب كما تحددها الصورة الإسلامية ، وهذه قضية تقنية أيضاً داخل التكوين العسكرى للمجتمع الإسلامى . وتتبع قضية أمير الحرب مسألة تقنية دقيقة أخرى هى أساليب الحرب التى ترد حولها نصوص كلاسيكية متعلقة بالسسيو - ستراتيجيا بالمعنى الدقيق لها فى ذلك الوقت وكما هى مجسدة فى كتابات ابن خلدون المنتقاة من «المقدمة» .

بعد تحديد تنظيم الجيش وتكتيك فعاليته يقوم شارنيه باختيار النصوص التى تعالج قضية من صميم الفعل العسكرى الاستراتيجى هى التكوين الجيوبوليتيكي للعالم الإسلامى وكل ما يتعلق بطبيعة الأرض والمناخ والفعل العسكرى والحياتى فى إطارها . وفى هذا المجال ترد أقدم وأول النصوص التقنية فى التاريخ العربى الإسلامى هى كتابات المقرئى ثم نصوص أخرى أقل قدماً ثم أكثر حداثة .

فى القسم الثالث «الثورة» ، ديناميكية الجماهير الموحدة» ، تقدم النصوص المختارة لهذا الموضوع ، تنوعاً فى الرؤية السياسية للثورة حسب تباين التيارات التى يمثلها زعماء وحكام عرب مثل جمال عبد الناصر ، الذى يقدم شارنيه مفهومه للثورة على شكل مقتطفات من الميثاق ومن

خطبه السياسية التي تتناول مواضيع الإصلاح والتنمية والخطط الاقتصادية ، ثم فقرات من خطب المهدي بن بركة والقذافي ، ونصوصاً من بيانات منظمة التحرير الفلسطينية وجبهة البوليساريو ونصوص أخرى .

وداخل موضوع الثورة نفسه ، يرصد شارنييه خصوصيات سسيو - سياسية تتحكم بمسار مشروع التثوير في العالم العربي - الإسلامي المعاصر ، مثل «التناقضات التاريخية الاجتماعية» التي تتجسد في الاتجاهات الثورية الكبرى ، وتطالعنا في خطابات عبد الناصر ولىلى خالد حيث تتباين بشدة اتجاهات مفهومهما للثورة ، بل إن خطابات عبد الناصر تحتوى على تناقض حاد بين خطاب وآخر على مستوى موقفه من الدين أو من الماركسية والإصلاح الاشتراكي .

ومن الخصوصيات الأخرى لخط الثورة في العالم العربي المعاصر هو اقترابها أو ضرورة تحديد موقف باتجاه الدين وخاصة الإسلام كوعاء حضارى للتاريخ العربى . وتحت عنوان فرعى من القسم الثالث «الثورة» ، ترد قضية «الثورة والدين» ثم «الثورة والإمبريالية» فتقرأ تحت العنوانين مقتطفات من خطابات وكتابات عبد الناصر ، ميشيل عفلق ، ياسر عرفات ، معمر القذافي ، سيد قطب ، على شريعتى ، الإمام الخميني ، موسى الصدر ، المهدي بن بركة ، وبيانات للجبهة الشعبية لجمهورية اليمن الجنوبية . تصور هذه المختارات البناء الفكرى لاتجاهات الثورة في موقفها من الإسلام أو من الاستعمار الحديث في العالم العربى الإسلامى . وبالرغم من أن عنوان الكتاب هو «مبادئ الاستراتيجية العربية» إلا أن المؤلف لا يتوقف عند ما يطرحه الزعماء العرب فقط بل يقرن بذلك تصورات الزعماء السياسيين في العالم الإسلامى المعاصر ، بسبب ما تمتلكه الخصوصية الإسلامية من تأثير على العالم العربى بحكم تداخلها عضوياً مع تكوينه الثقافى .

خلال قراءتنا لكل هذه النصوص نشعر بأن التاريخ العربى يتكلم عن نفسه وعن جوهره الحقيقى بدون زيف . إن المحتوى العام للكتاب هو نصوص فقط ، منظمة وفق أسلوب عقلانى فى دقته واسترساله . فجان بول شارنييه لا يعلق أبداً على صيغ هذه المقتطفات المختارة ، كما أنه لا يقدم أى تحليل أو استنتاج حول مضامينها ، ولا يطرح أى خلاصة لها وكأنه يريد القول بأن هذا الصمت والغياب لشخصه هو التعليق الوحيد ، لأن النصوص تقول خلاصتها بوضوح تام . إن عبقرية الكتاب تتجسد فى طريقة تصنيف المختارات وتنسيقها وفق رؤية تنظيمية حادة بحيث تتيج فرصة نادرة لتحليل مقارن جديد لم يسبق له نظير من قبل .

بعد قراءة الكتاب نخرج باستنتاج كالكشف هو أن العالم العربى الإسلامى ليس بدون استراتيجية فحسب ، بل إنه يرفض أن يتخذ له أى نوع من الاستراتيجية فى تطوره السياسى أو

الاقتصادي أو الاجتماعي أو حتى العسكري ، بسبب من تعددية النماذج المطروحة ، وأن العلاقة بين هذه النماذج ليست علاقة جدل وتفاعل وحوار بل «علاقة» صراع بهدف نفى أحدها من قبل الآخر وفق المعتقد الأيديولوجي وحدوده . ونكتشف أيضاً ، بأن جوهر النظرة العربية العامة للأشياء لم تتغير وأنها احتفظت بأسسها التكوينية الجاهلية والعربية العرقية والقومية ، أو أساسها الإسلامي الذي تركّز في الجهاد الذي كرس استقطاباً وامتداداً مستقبلياً لما هو قديم من حوافز من شأنها أن تحدد صيغة لاستراتيجية ذات بناء تقني دقيق ، و«التجديد» الوحيد الحاصل في المنظور «الاستراتيجي» العربي هو الاختلاف داخل أشكال التعبير الحديثة مقارنة بـ«نموذجها» القديم ، هذا إذا لم تكن معبرة عنه بشكل مباشر عن طريق نص ينطلق من أيديولوجية دينية محضة .

المفهوم العام للأمن القومى :

إن الدلالة العامة للأمن القومى تعنى مجموعة التدابير والاحتياطات ، النظرية والعملية ، الخاصة بحماية المجال الإقليمى لدولة ما . على أن المجال الإقليمى هنا لا يعنى الرقعة الجيوبوليتيكية من الأرض فقط ، بل يشمل الثروات الاقتصادية ، والأيدىولوجية السياسية الخاصة بنظام الحكم فى تلك الدولة ، والأهداف الوطنية الممثلة لخصوصيتها القومية والحضارية .

أما نظرية الأمن القومى فتدل - وفق مفهومها العام - على الاحتياطات الواجب اتخاذها بغرض تكريس السيادة الوطنية للدولة على أراضيها الإقليمية ومصالحها الداخلية والخارجية المرتبطة ببنائها القومى والثقافى الخاص . وانطلاقاً من هذا التحديد العام لنظرية الأمن القومى نرى أن هذه النظرية تتفرع إلى تفاصيل تكوينية سياسية فى بنيتها الداخلية ، فهى لا تشمل تعزيز القوة العسكرية فقط كما يوحيه تعبير «تكريس السيادة الوطنية» ، بل تشمل أيضاً السياسية الخارجية والتقدير الاستراتيجى للواقع الجيوبوليتيكي المحيط بالدولة المعنية، ومدى التناقض أو التقارب الأيدىولوجى بينها وبين جاراتها المباشرة ، ودراسة إمكانيات الدول ذات المصالح المتعارضة معها أو إمكانيات الدول المعادية لها وقدراتها العسكرية والبشرية والاقتصادية والجيوبوليتيكية ، وتحديد نقاط القصور أو التفوق لدى هذه البلدان لاتخاذ الاحتياطات اللازمة فى مواجهتها ، إذا اقتضى الأمر ، أو تحديد حماية أمنية قومية إزاء الأخطار المحتملة الظهور من قبل الأعداء المباشرين . أو توطيد صلات التقارب والتعاون مع البلدان الصديقة والحيطة للدولة المعنية من أجل الحصول على مساندة لها فى حالة نشوب صراع بينها وبين دولة معادية .

نظرية الأمن القومى الإسرائيلى :

من هذا التعريف العام لنظرية الأمن نستطيع حصر الأركان الأساسية التى تستند عليها نظرية

الأمن القومي الإسرائيلي حسب واقعها الجيوبوليتيكي وتطلعاتها الاستراتيجية ، بركنن أساسيين تستند عليهما كل العناصر الأمنية الإسرائيلية اللاحقة . وهما المرونة من جانب ، والتلاحم الفكرى مع الواقع من جانب آخر (١) . ووفق هذا المنهج العام فى ممارسة العناصر الواقعية للنظرية . صاغت إسرائيل فكرة أمنها القومى منطلقة من إدراكها لوضعها الجغرافى - السياسى وكيانها «القومى» الموجود داخل رقعة إقليمية مُهدّدة فى وجودها الكلى لتمامها الحدودى مع أعدائها المباشرين (أى الدول العربية) .

لقد بنت إسرائيل نظريتها الأمنية على التقدير الدقيق والمتواصل لجوانب القوة أو الضعف للبلدان العربية ، فهى دولة عسكرية فى حالة مواجهة دائمة مع أعدائها على أن هذه المواجهة لا توضع باستمرار داخل عملية الحرب الفعلية أو المواجهة العسكرية المستمرة ، بل هى احتمال موجود يحدث فى فترات غير محددة ، وقد تكون مفاجئة على الأكثر مقترنة بشروط دولة ومحفزات إقليمية محيطة بها . لذلك انصب اهتمام إسرائيل الأمنى الأول على الناحية العسكرية قبل السياسية أو السياسية الخارجية . فإن السياسة الخارجية أُمست تابعاً يخضع للاحتياجات العسكرية بهدف توفير الاستعداد الدائم للمواجهة . وقد صاغت إسرائيل نظرية أمنها القومى طبقاً لاستراتيجية وتكتيك حربيين بالاعتماد على إدراك دقيق لإمكانات الدول العربية المواجهة لها . ومن أهم الإمكانات التى تنظر إليها إسرائيل بنظر الاعتبار العامل البشرى والتفوق العددي للدول العربية ، والقاعدة الاقتصادية القوية واتساع الرقعة الجغرافية السياسية لهذه البلدان مما يوفر لها مقاً استراتيجياً يؤهلها عسكرياً لحركات الدفاع والتراجع التكتيكي ثم الهجوم العام .

إن هذه العوامل الثلاثة تمنح الدول العربية قدرة على القيام بحرب طويلة الأمد ليس باستطاعة إسرائيل تحملها بسبب العامل البشرى المحدود والإمكانات الاقتصادية التى تعتمد فى معظمها على المساعدات الأميركية . ولذلك فإن إسرائيل تحرص على كسب النصر فى كل معركة أو حرب مع العرب ، لأن هزيمة إسرائيل لمرة واحدة فى معركة أو حرب يعنى تهديد وجودها «القومى» ، فى حين أن عدم كسب العرب للنصر فى معركة واحدة أو فى معارك عدة لا يعنى تهديداً لوجودهم القومى أو لكيانهم السياسى .

لقد أخذت إسرائيل بهذه العوامل الأساسية فى الحسابان لأجل صياغة نظرية أمنها القومى التى تركزت بالتالى - وفقاً لهذه العوامل - فى اتجاهين ، الأول اتجاه استراتيجى نظرى عام ، والثانى ، وهو الأكثر أهمية ، اتجاه استراتيجى عسكري وتقنى خاضع للمؤثرات البوليكتيكية أو الجغرافية - العسكرية . ومن التحام هذين الاتجاهين تتكامل نظرية الأمن القومى الإسرائيلى .

ويجدر بنا أن نتناول الاتجاه العسكري أولاً قبل الدخول إلى الجانب الاستراتيجي النظري

الاستراتيجية العسكرية في النظرية الأمنية الإسرائيلية : -

اعتمدت إسرائيل في مواجهاتها العسكرية على ثلاث قواعد هامة لخوض أى معركة أو حرب مع الدول العربية ، هى :

١- الحرب الخاطفة .

٢- الضربة الاستباقية (وخاصة تحقيق هذه الضربة إن أمكن فى العمق الاستراتيجي للبلدان العربية) ، وللوصول إلى هذا الهدف حرصت إسرائيل على الاعتماد على القاعدة الثالثة الأكثر أساسية وأهمية وهى :

٣- تحقيق التفوق العسكري على البلدان العربية مجتمعة واستمرارية هذا التفوق عن طريق تنظيم الجيش ومواكبة التطورات التكنولوجية الحاصلة فى مجال التسليح وفى العلوم العسكرية فى العالم .

والحرب الخاطفة تتخذ صفة الضرورة الأولى داخل الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية لتحقيق النصر المباشر ولتخاشى عوامل الضعف التى يتصف بها الجيش الإسرائيلى بالنسبة للجيش العربية (مثل العامل البشرى ، العمق الاستراتيجي) ، وتتركز نظرية الحرب الخاطفة على ضرورات تشكل الهيكلية العامة للعقيدة العسكرية الإسرائيلية ، هى (٢) :

١- تواجه إسرائيل مشكلة النقص فى الموارد البشرية والتفوق العربى العددي الدائم عليها .

٢- لا تستطيع إسرائيل حسم صراعها مع العرب نهائياً بالوسيلة العسكرية نسبة للوضع الجيو-ستراتيجي القائم ، وعدم قدرة إسرائيل على بسط هيمنتها من المحيط إلى الخليج ، ولذلك، يتحتم على إسرائيل التوصل إلى فرض القبول العربى السياسى بها بشتى الوسائل وعلى رأسها الحفاظ على تفوقها العسكرى .

٣- إن خسارة إسرائيل لمعركة حاسمة واحدة تؤدي إلى انهيار الدولة الصهيونية ، بينما يستطيع الطرف العربى استيعاب أكثر من هزيمة عسكريه دون أن يشكل هذا خطراً على كيانه (٣).
وتقتضى الحرب الخاطفة بتعبئة إسرائيل لمواردها إلى أقصى حد ممكن . ولأن إسرائيل تفتقر

إلى الموارد البشرية والاقتصادية الكافية للاحتفاظ بجيش نظامى ضخم قائم باستمرار ، فإنها اعتمدت على جيش «شعبي» أي جيش «ميلشيا» ، يقوم على الاحتياط والتعبئة السرية والقيام بمهمته العسكرية الخاطفة وتحقيق النصر بأسرع فرصة لكى يعرّد هذا الجيش بعد ذلك إلى أماكن عمله المدنية ، ولذلك تتوخى إسرائيل فى معاركها الخاطفة ضرورة الحسم العسكرى السريع تفادياً للخسائر البشرية ومنعاً للضغوطات الدولية ولإبعاد الحرب عن المراكز السكانية اليهودية (٤) .

والمبدأ الأساسى الآخر فى العقيدة العسكرية الإسرائيلية هو «الحرب الوقائية» ، القاضية باستباق المعركة والمبادرة بالقتال للقضاء على الخصم قبل أن يبدأ هذا الخصم العملية القتالية (٥) . وتعتمد فكرة الحرب الوقائية على نظرية «الضربة الأولى» ، أو «الضربة الاستباقية – الوقائية» التى تشكل إحدى الحلقات المركزية فى سلسلة من الحلقات النظرية المتداخلة والمتكاملة داخل المعتقد العسكرى الإسرائيلى .

إن «الضربة الاستباقية الوقائية» ليست نظرية جامدة ثابتة ، بل إنها تتضمن من المرونة والديناميكية ما يجعلها تناسب أكثر المواقف الاستراتيجية صعوبة وحرَجاً بالنسبة إلى إسرائيل . إن تحليل هذه النظرية يكشف عن المكونات التالية :

١- إن النظرية «بشكلها الخام» تستند كلياً على «الضربة الأولى» ، أى اتخاذ الخطوة العملية الأولى والمبادرة بالهجوم والمفاجأة من أجل تحطيم قوات العدو العسكرية واحتلال أراضيه وحجب المبادرة عنه من خلال انتقاء المكان والزمان والأسلوب الذى يتناسب مع الطرف البادئ (أى إسرائيل) .

٢- تضاف إلى «الضربة الأولى» نظرية «الحرب الاستباقية» ، أى استباق التحركات العربية والقيام بضرب الحشود العربية قبل أن تتحرك أو تتخذ المواقع التى يمكن لها أن تنطلق منها نحو إسرائيل . وقد أكد هذه النظرية أحد الاستراتيجيين العسكريين الإسرائيليين وهو الجنرال يسرائيل تال قائلاً : على إسرائيل القيام بهجوم استباقى فى حالة تمركز حشود عربية عدائية على الحدود . وتقوم هذه النظرية على افتراض ضرورة الهجوم الإسرائيلى فى حال انتشار القوات العربية بشكل عدائى (٦) .

تشتمل الحرب الاستباقية على نظرية Anticipatory Counter-attak «الهجوم – المضاد الاستباقى» ، وهى النظرية التى عمّقها إيفال ألون فى منتصف الستينات نتيجة لدروس حملة السويس ، وقد عرفها كما يلى : «إنها مبادرة عملياتية إسرائيلية تتخذ ضد التحشيدات العدائية وتستهدف احتلال مواقع ذات شأن أمنى حيوى عند العدو فى وقت يقوم فيه العدو بحشد

قواته ، لكن قبل قيامه عملياً بتنفيذ هجومه» (٧) والهجوم المضاد الاستباقي يتطلب ليس فقط ضرب العدو قبل أن يبدأ بهجومه المفترض ، بل احتلال مواقع استراتيجية داخل أرض العدو أيضاً (٨) . ويمكن إضافة صياغة أخرى «الحرب الاستباقية» Preemptive War ، بحيث تغدو حرباً «وقائية» Preventive War ، والفارق الأساسي أن «الاستباق» يفترض أن هناك تحركاً عربياً فعلياً عداً actual deployment بينما «الوقاية» لا تشمل فقط التحرك الفعلي فحسب بل النوايا أيضاً ، والحرب الوقائية تستهدف القوى العربية الكامنة ومنع قيام أى وضع أمني سلبي بالنسبة لإسرائيل ، وقد تعتبر إسرائيل قيام جبهة سياسية أو عسكرية معينة أو أية تحركات ومواقف عربية أخرى ذريعة للحرب casus Belli للقيام بالضربة الأولى ، وهناك أمثلة عديدة مثل الخطر الذي شكلته على أمن إسرائيل القومي إغلاق مضائق شرم الشيخ قبيل حرب ١٩٦٧ أو موقف إسرائيل من تغيير النظام السياسي في دول مجاورة في مطلع السبعينات (٩)

إن الربط بين نظرية الضربة – الاستباقية – الوقائية وبين المفاهيم العامة للأمن القومي الإسرائيلي يوضح بأن هذه النظرية تؤلف ركناً أساسياً من أركان نظرية الردع ، فالتلويح أو التهديد بالضربة الأولى يستهدف حصر البدائل العربية وشل القدرة على اتخاذ القرار ومن هنا ردع القدرات العربية عن القيام بأي عمل عدائي اتجاه إسرائيل ، ومن جهة أخرى ترتبط نظرية الضربة الاستباقية بالمفهوم الإسرائيلي «للحدود الآمنة» وتقوم حجة إسرائيل بضرورة الاحتفاظ بالأراضي العربية ، بأن ذلك يلغى أو يقلل من إمكانية قيام إسرائيل بالحرب الوقائية الاستباقية وهكذا فإن الضربة الاستباقية هي بمثابة خط الدفاع العمليتين الثاني للمفهوم الإسرائيلي للحدود الآمنة وإن كانت متناقضة معها نظرياً (١٠)

إن قاعدتي الحرب الخاطفة والضربة الاستباقية في الفكر الاستراتيجي الإسرائيلي يحتمان بالضرورة الالتزام ببرنامج كثيف للتسلح متقدم ومقترن بفكر عسكري مرن يواكب التطورات العسكرية عند العدو والتجديدات والاكتشافات الحديثة في العالم والتكنولوجيا العسكرية كما يحتم الالتزام بترسيخ قاعدة اقتصادية وحليف خارجي قوي يمد إسرائيل بالخبرة والسلاح . ومن هنا كان الركن الأساسي الثالث في نظرية الأمن القومي الإسرائيلي يركز على خط جيش إسرائيلي متفوق على الجيوش العربية مجتمعة من ناحية قدرته الضاربة . فإن التفوق البشري قضية غير ممكنة ولذلك استعاض عنها بتطوير الترسانة العسكرية الإسرائيلية ورفدها بأحدث أنواع الأسلحة وأكثرها فاعلية والتي تفتقر إليها الجيوش العربية .

ولتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي والأمني قامت إسرائيل بتطوير التنظيم العسكري لجيشها ،

وخاضعة بأسلوب التعبئة للاحتياط في حالة قيام حرب مفاجئة مع العرب . وقد تصاعد تطوير أسلوب التعبئة تدريجياً حتى بلغ عام ١٩٨٠ - وفي حالة التعبئة العامة - ما يقارب الـ « ٤٥٠ » ألف رجل ، منهم حوالي ٤٠٠ ألف رجل في الجيش و ٣٠ ألف رجل في سلاح الطيران و ١٥ ألف في البحرية .

القدرة التقنية للجيش الإسرائيلي :

إضافة إلى تصاعد القدرة البشرية في حالة التعبئة العامة فإن المعدات العسكرية في الجيش الإسرائيلي قد شهدت تطوراً كبيراً ونوعياً حتى عام ١٩٨٠ في قواتها الرئيسية الثلاث البرية والجوية والبحرية .

١ - القوات البرية :

اشتملت القوات البرية على نحو ٣٦٠٠ دبابة قتال رئيسية تضم ١١٣٥ من طراز « م - ٦٠ » ١٠٠٠ سنتريون و ٧٥٠ « م - ٤٨ - باتون » ، ١٠٠ « مركافا » ، بالإضافة إلى ٤٠٠ « ت أي - ٦٧ » و « ت ٥٤ / ٥٥ » و ١٥٠ « ت أي ٧٣ » (ت - ٦٢٠٠) وتضم معدات الجيش البري الإسرائيلي أكثر من ٦٠٠٠ عربة مدرعة من بينها حوالي ٤٠٠٠ ناقلة « م - ١١٣ » وعربات استطلاع « د . ب . بي - ١ » وناقلات نصف مجنزرة ، وحوالي ١٠٠٠ مدفع ذاتي الحركة تشتمل على مدافع « م - ١١٠ » عيار ٢٠٣ ملم و « م - ١٠٧ » (١٧٥ ملم) و « م ١٠٨ » ، و « أم . أكس - ١٠٥ » (عيار ١٠٥ ملم) ، و ٥٠٠ مدفع متطور حتى عيار ١٥٥ ملم وصواريخ م / ط « هوك المحسن » و « تشابارال المحسن » و « رداي » ومدافع م / ط ذاتية الحركة « فولكان » و « س . ب - ٢٠ » وصواريخ م / د من طراز « تاف » و « دراغون » و « أ . ت . ساغر » و « كويرا » و ٢٠٠ منصة إطلاق صواريخ أرض / أرض « لانسر » ، وربما صواريخ أرض - أرض « حريكو » و (أريحا) . (١١)

٢ - القوة الجوية :

أما القوة الجوية وهي الاعتماد الأساسي على إسرائيل في تحقيق ديمومة تفوقها العسكري فكانت تشمل حتى عام ١٩٨٠ على حوالي ٦٨٠ طائرة قتالية تضم ٤٤ « ف - ١٥ ريجل » و ٢٢٠ « ف - ٤ فانثوم » و ١٦٠ « كنتريس - ٢ / ١ » (جميعها متعددة المهام) ، إلى جانب ٢٥٠ قاذفة خفيفة « آ - ٤ سكاي هوك » ، ويضاف إلى هذه الطائرات ٧٥ مقاتلة « ف - ١٦ » بدى بتسليمها

مؤخراً إلى جانب ١٨ هليكوبتر هجومية خفيفة « ميوز - ٥٠٠ ديفندر » . وتشتمل طائرات الاستطلاع والتشويش على ١٦ « ر . ف - ٤ هانتوم » للاستطلاع التكتيكي و ٤ « أي - ٢ هوك أي » لهجمات الإنذار المبكر والرصد ، و ٢ « أي - في - ١ . و هوك » للرصد والمراقبة الميدانية و ٢ « بوينج ٧٠٧ » و ٤ « أي . سي - ٩٧ » للاستطلاع والتشويش الإلكتروني بدون طيار من طراز « ريان ١٢٤ / ١٤٧ فايربي » و « بيتش » و « تشوكار » و « سكايت » و « ماستيف » ، وتملك إسرائيل حوالي ١٢٠ طائرة نقل تضم طائرات « بوينج ٧٤٧ » و « بوينج ٧٠٧ » و « سي - ١٢٠ ميركوليز » و « سي - ٩٧ » وأكثر من ٢٥٠ هليكوبتر تشتمل على طراز « سي - ٦٥ » (سي - ٥ - ٥٣) و « سي - ٦١ » (سي - ٥ - ٣) و « شينوك » و « بل - ٢٠٥ / ٢٠٦ / ٢١٢ » و « ألبرت - ٣ / ٦ » ، ويتم تسليح الطائرات الإسرائيلية بصواريخ جو - جو « سايد وايندر » و « سبارو » و « شفير » وصواريخ جو - أرضي « مافريك » و « شرايك » و « ستاندار - أم » و « فول أي » و « يولياف » و « لوز » وقنابل موجهة « هوبو » وقنابل عنقودية « سي بي يو » و « جي بي يو » و « روك أي » (١٢) .

٣ - القوة البحرية :

وتضم ثلاث غواصات من فئة « فيكرز - ٢٠٦ » وزورق صواريخ ثقيل « كورفيت » من فئة « عالية » و ١٠ زوارق « ريشيف » و ١٢ زورق « ساعر » وزورقين زلاقيين « سوير فلاستاف » و ٣ زوارق صواريخ خفيفة « دفورا » وتسليح هذه الزوارق بصواريخ مضادة للسفن من طراز « غايرثيل - ٣ / ٢ » و « هاريون » ، كما تستخدم البحرية الإسرائيلية حالياً ٣ طائرات استطلاع وسرية بحرية من طراز « سي سكان » وعقدت صفقة أخيرة من أجل الحصول على كورفيت ثانية من فئة « عالية » وتعرف « كيو ، يو - ٩ - ٣٥ » وزورقين إضافيين من فئة « ريشيف » ، و ١٠ زوارق زلاقة « سوير فلاستاف » (١٣) .

لقد ارتبط تطور الجيش الإسرائيلي بعملية تسليح مستمرة خصصت لها ميزانية مالية ضخمة أثارت غالباً الكثير من النقاشات بين أعضاء الحكومة الإسرائيلية حيث طالب البعض بخفض هذه الميزانية وتكريس جزء منها للمشاريع المدنية الأخرى ، لكن دعاة الحرب ، وهم الأكثرية ، يرون أن الأمن القومي الإسرائيلي لا يتربح إلا بفضل عمليات التسليح المستمرة ، ليس بواسطة شراء السلاح من الخارج محسوب ، بل عن طريق خلق وتطوير صناعة عسكرية داخل إسرائيل ، تستطيع أن تحقق لها نوعاً من الاستقلال الاقتصادي وعدم الارتباط الكامل بسوق السلاح الدولي وخاصة الأمريكي منه . وعلى الرغم من أن العلاقة التي تربط ما بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية علاقة استراتيجية ذات مصالح مضمومة متبادلة فإن إسرائيل قد فكرت بخلق صناعة عسكرية تحقق

لها نمطاً من الاستقلال الجزئى فى عملية التسليح .(١٤)

العلاقات الخارجية والصناعة العسكرية :

إن عملية التسليح و الميزانية المالية الضخمة المخصصة لها جعلت إسرائيل تُخضع علاقاتها الخارجية للضرورات التى تحتتمها نظرية أمنها القومى ، وبذلك فإن علاقاتها مع الولايات المتحدة تسير فى هذا الاتجاه . فعلاقة إسرائيل بالولايات المتحدة هى المحور الذى يحدد طبيعة علاقة إسرائيل بدول العالم الأخرى سلباً أو إيجاباً وفق التقارب أو التناقض مع اتجاه سياسة حليفتها الرئيسية الولايات المتحدة .(١٥)

إن المساعدات المالية والعسكرية الأميركية إلى إسرائيل أسهمت فى خلق صناعة عسكرية إسرائيلية متطورة وقادرة على سد الاحتياجات الثانوية والعاجلة فى المجال العسكرى كما أن هذا النوع من الصناعة قد أتاح مجالا جديداً لاشتغال الأيدى العاملة الإسرائيلية وامتصاص البطالة وزيادة الخبرة العسكرية للمواطن الإسرائيلى الذى يعتمد عليه فى الحرب كقوة أساسية تضاف إلى الجيش النظامى . فعلى الصعيد الاقتصادى ، تشكل الصناعة العسكرية مصدر عيش لحوالى ربع القوة الإسرائيلىة العاملة .

لقد بدأت إسرائيل بالتصنيع العسكرى منذ الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى ١٩٤٨ ، لكنها تطورت بشكل ملحوظ فى سنوات الستينات ، بيد أن التطور الأكبر لها جاء بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف ١٩٧٠ ، حيث منع الجنرال ديڭول تصدير الأسلحة الفرنسية لإسرائيل الأمر الذى دفع بإسرائيل للتفكير بالتصنيع الحربى لسد الثغرة فى احتياجاتها المتضخمة للسلاح .(١٦)

وتطورت الصناعة العسكرية الإسرائيلية بعد ذلك لتشتمل على مؤسسات صناعية كبيرة وهامة مثل « مؤسسة الصناعة الجوية الاسرائيلية iai » وهى أضخم المجمعات الصناعية الموجودة ، حيث يعمل فيها حوالى ٢١ ألف موظف وعامل وقد بلغ إجمالى مدخلها عام ١٩٧٩ حوالى ٥٦٠ مليون دولار ، وكانت نسبة ٦٠ ٪ منها ناجمة عن تصدير منتجاتها إلى الخارج .(١٧) ثم تليها « مؤسسة الصناعات العسكرية الإسرائيلية imi » وهى أقدم مؤسسة صناعية حربية فى إسرائيل ، ثم مؤسسة أحواض بناء السفن الإسرائيلية isi ثم مؤسسة رفايل rafael المعروفة باسم « هيئة

تطوير الوسائل الحربية «، ثم شركة سولتام soltam ، وشركة تاديران tadiran ، وشركة بيت شمس bet shemesh وبعض الشركات الأخرى الأقل أهمية من هذه . وقد ساعدت كل هذه المشاريع الصناعية على خلق صناعة عسكرية إسرائيلية متطورة تسهم بشكل كبير في بناء الجيش الإسرائيلي والحفاظ على مبدأ تفوق هذا الجيش على الجيوش العربية مجتمعة كأساس داخل نظرية الأمن القومي الإسرائيلي .

لقد نشأت هذه الصناعة بفضل مساعدات اقتصادية وخبرات أمريكية ولذلك فإن التطور الصناعي العسكري في إسرائيل وقوتها المسلحة مرهونان بعلاقاتها الاستراتيجية مع أمريكا وبالمساعدة الأمريكية الكبيرة لها ، وهذا الجانب ، على الرغم من مردوداته الإيجابية بشكل بالتالي نقطة سلبية داخل القوة العسكرية الإسرائيلية باعتبارها قوة غير مستقلة ذاتياً عن العون الخارجي الأمر الذي دفع بعض الاستراتيجيين الإسرائيليين لأن يدعون إلى التقليل من اعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة ، والعواقب الوخيمة التي سيؤدي إليها هذا الاعتماد شبه الكلى عليها : في حين يتضح أكثر فأكثر أن العالم العربي أكثر أهمية للولايات المتحدة من إسرائيل ، وأن على إسرائيل الاعتماد على قدراتها الذاتية أكثر من اعتمادها على الحلفاء الاستراتيجيين وفي طليعتهم الولايات المتحدة . لقد تزعم هذا الاتجاه الجنرال يسرائيل تال وهو من أهم الاستراتيجيين العسكريين في جامعة تل أبيب ، وشغل منصب نائب رئيس أركان الجيش ثم صار قائداً عاماً للقوات الميدانية . حيث يقول : «لا ينبغي أن نستخف بالحلفاء ، وبالتالي لا ينبغي الاستخفاف بمساعدة الولايات المتحدة ، السياسية والاقتصادية والردعية . لكن هذه المساعدة يجب أن تكون بمثابة إضافة إلى ثقلنا النوعي الذاتي وإلى قوة الشعب اليهودي ، لا أن تكون بدلاً عنهما . بالإضافة إلى ذلك لا يجوز أن نعتبر شبكة العلاقات مع الولايات المتحدة أكثر أهمية من علاقتنا مع العرب ، ويجب أن نرفض التمييز بين شراء الأسلحة من خارج البلد وبين الإنتاج في البلد ، ونرفض بالتالي الافتراض النابع منه ، وكان إنتاج السلاح من الخارج هو بمثابة هبة . صحيح أن المساعدة الأميركية ، بنظرة قصيرة المدى اعتبرت كـ «أموال سهلة المنال» ، بينما المصروفات داخل البلد هي على حساب السكان ، فهذه بالطبع نظرة خاطئة ، لأن قواتنا العسكرية ستتناسب طردياً مع قدرتنا على الإبداع ومع تطوير البنية التحتية ، ومع حجم القدرة التكنولوجية والصناعية ، ولكي تتقدم التكنولوجيا والصناعة في البلد ، لابد من استثمار موارد . فعلينا أن نسعى للحصول على أموال المساعدة الأميركية أو جزء محترم منها ، لا على شكل منتجات أميركية مصنعة بل بشكل استثمار لإنتاج محلي» (١٨).

إن الاعتماد الكلي على المساعدات الأميركية والتحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة يشكلان الأساس الأكثر أهمية في بناء نظرية الأمن الإسرائيلي ، وإن أى انفصال بين الولايات المتحدة والدولة الصهيونية سيؤدي إلى خلل تام في نظرية الأمن القومي الإسرائيلي القائمة على أسس هامة تستند على المعونات الأميركية مثل التسليح واقتصاديات التسليح والصناعة العسكرية ، فإن علاقة إسرائيل بالولايات المتحدة ركيزة أساسية لحفظ أمن إسرائيل القومي .

إن القواعد السابقة هي مكونات جوهرية في البناء العام لفكرة الأمن القومي للدولة الصهيونية ، لكن بالإضافة إلى هذه المبادئ الثابتة وشبه الأيديولوجية ، صارت الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية تعتمد على مفهومين رئيسيين مترابطين هما : الردع والحسم ويفسر الجنرال يسرائيل تال ، أبرز منظري الجيش الإسرائيلي ، هذين المفهومين كما يلي : «إن عقيدتنا الأمنية نصت دائماً على أن الجيش الإسرائيلي يجب أن يحتفظ باستمرار بقدرته على الردع . وإذا لم يكن الردع كافياً فإن عليه أن يحسم . إننا لم نضع أبداً القدرة على الردع في مقابل القدرة القتالية ، بل اعتبرنا الردع والحسم وجهين للعملة نفسها وما الردع إلا القدرة الكامنة على الحسم ، وعندما لا يجدى الردع ، سواء لأن العدو يخطئ في تقدير قدراتنا الرادعة ، أو لأنه يعتقد بقدرته على تحقيق أهدافه الحربية حتى وإن لم ينجح في إحراز الحسم العسكري في الميدان ، فإن القوة الكامنة تتحول حينئذ إلى قدرة عملية تنفيذية في الحرب » (١٩) .

غير أنه لا توجد بين مفهوم «الأمن القومي» الأساسى الذى يعرفه تال على أنه «قضية وجود» وبين استراتيجيتي الردع والحسم أهداف متوسطة تربط المفهوم «الأعلى» بالوقائع السياسية التى تواجه إسرائيل .

وهكذا يظل هدف إسرائيل حسبما يقول الجنرال مردخاي غور رئيس الأركان السابق «تدمير قوات العدو» ، وهو يضيف أن «على إسرائيل أن تبذل كافة جهودها حتى يكون نصرها سريعاً وحاسماً وحتى يعرف العالم كله من المنتصر» . وأن النتائج السياسية التى يتبناها مردخاي غور تتلامح أولاً مع مبادئ الأمن القومي الإسرائيلى ، أما مسألة أهداف إسرائيل السياسية فى الحرب فتظل مسألة مفتوحة (٢٠) .

وعلاوة على هذه التشكيلة العسكرية التقنية والمتنظيرية ، اتخذت إسرائيل جانباً احتياطياً آخر لتعزيز نظرية أمنها القومي على المستوى الجيوليتيكي المتعلق بالعمق الاستراتيجي ، فإن العمق الاستراتيجي الذى تتمتع به البلدان العربية تفتقر إليه إسرائيل تماماً ، ولذلك فقد حاولت تعويض هذه الثغرة الخطرة فى واقع أمنها القومي عن طريق احتلال الأراضى العربية وتشبيد المستعمرات

داخل الأراضي الجديدة المحتلة لخلق نوع من الحزام الأرضي الدفاعي أو الرصيف الإضافي لحدودها السابقة أى حدود تقسيم عام ١٩٤٨ . وهى تتوخى بذلك تكوين شىء ولو يسير من العمق الاستراتيجى الذى ينقصها للدرجة التى يشكل خطراً كبيراً على بناء نظرية أمن قومي راسخة وبعيدة عن الاهتزازات الطارئة التى تنتج عن احتمالية نشوب معركة أو حرب بينها وبين الدول العربية .

ومعذ أن تولى رفائيل إيتان رئاسة الأركان الإسرائيلية عام ١٩٧٨ أُدخل تعديلات هامة على التنظيم الدفاعي الأمنى للوجود الإسرائيلى فى الضفة الغربية المحتلة . وقد تمثلت هذه التعديلات بسلسلة من الإجراءات التى تستهدف دعم وتقوية المستوطنات اليهودية وزيادة التنسيق ما بين حركة الاستيطان وبين قيادة الجيش ، ومن ضمن الإجراءات التى اتخذها إيتان اعتبار كل مستعمرة فى الضفة الغربية موقع تصدر أمامى حيث يقول بهذا الصدد : إن إعطاء صيغة أمنية لجميع المستعمرات وإسناد مهام التصدي الأمامى لها يحول دون التفرقة ما بين الاستيطان للأغراض الاستراتيجية وبين الاستيطان العادى . (٢١)

ويرى إيتان أيضاً ضرورة تحقيق هدفين آخرين لتدعيم استخدام الأراضي الجديدة المحتلة والمستعمرات الحديثة البناء استخداماً قومياً من أجل إسرائيل بحيث يعوضها ولو بشكل جزئى عن افتقادها للعمق الاستراتيجى ، وهذان الهدفان هما :

١ - تدعيم فعالية الدفاع المحلى فى الضفة الغربية . حيث قام إيتان بدمج جميع رجال الاحتياط المقيمين فى الضفة ، داخل شبكة محلية شاملة . وقد تم نقل رجال الاحتياط من وحداتهم الأخرى بما فى ذلك الوحدات القتالية بحيث أصبحوا يؤدون فترة خدمتهم الاحتياطية بأكملها فى الضفة نفسها

٢ - إقامة التنسيق ما بين « اللجان الأمنية » التابعة للمستوطنة وقيادة الجيش وبالإضافة إلى الإجراءات المذكورة أعلاه . أعلن عن إقامة التنسيق المباشر ما بين « اللجان الأمنية » التابعة للمستوطنات وقيادة الجيش . وكان المستوطنون اليهود قد أقاموا لجاناً أمنية مستقلة خلال السنوات الأخيرة ، إلا أن اعتراض بعض الجهات داخل الحكومة على قيام « جيوش خاصة » فى الأراضي المحتلة أدى إلى الإعلان عن إقامة « لجنة أمنية مركزية » . (٢٢)

إن دور الأراضي الجديدة المحتلة والمستوطنات التى أنشأت فيها على الرغم من تفاقم أهميته مؤخراً داخل نظرية الأمن القومى ، يبقى مسألة قديمة حظيت باهتمام إسرائيل قبل حرب حزيران ١٩٦٧ وبربجه خاص تزايد الاهتمام بها منذ حرب السويس ١٩٥٦ ، فقد استخدمت القوات

الإسرائيلية فى حرب ١٩٥٦ المستوطنات القريبة من الحدود وقطاع غزة كنقاط تجمع وحشد لبعض التشكيلات المشتركة فى العمليات الهجومية مثل استخدام مستوطنة « كرم أبو سالم » المسماة « نير يستحاق » كمركز حشد أساسى من قبل اللواء المدرع ٢٧ عشية مهاجمته لرفح . وقد تجمعت بعض وحدات « الناحال » فى بعض المستوطنات لتأمين الحماية الدفاعية لها وخاصة فى مواجهة قطاع غزة فضلاً عن بعض المستوطنات المواجهة لكلتا الجبهتين السورية والأردنية ، و بطبيعة الحال كان دور المستوطنات المفترض فى نظرية الأمن ، من حيث أهميتها الدفاعية سيتضح حجمه ومدى فعاليتها فيما لو طبقت الجيوش العربية أو الجيش المصرى على الأقل عقيدة ذات طابع هجومى. (٢٣)

التصور النظرى لفكرة الأمن القومى الإسرائيلى :

بعد هذا العرض لدعائم وأسس الناحية العسكرية فى نظرية الأمن الإسرائيلى ينبغى عرض الجانب النظرى الشامل لاستراتيجية إسرائيل فى صراعها مع الدول العربية ، فإن الناحية العسكرية تتخذ الجانب الأكثر أهمية ، بما أنها الجانب الممارس يومياً والذى على تماس كلى مع الأحداث الجارية فى الأفق السياسى الشرق أوسطى ، أو فى الأفق السياسى العالمى . لكن تبقى هناك بعض الخطوط الرئيسية لصراع إسرائيلى - عربى من وجهة النظر الإسرائيلىية * وتمسك هذه الخطوط بمكونات منظور استراتيجى عام وثابت على الدوام أو متحرك بشكل جزئى ، حسب أهمية أو خطورة التغيير النوعى فى التسلح أو فى الاتجاهات السياسية الحاصلة فى المنطقة . منذ عام ١٩٤٨ وحتى بداية الثمانينات اتبعت إسرائيل تصوراً استراتيجياً عاماً يتحكم بطبيعة الصراع مع الدول العربية . وهذا التصور هو تنظير سابق على ممارسة العمليات العسكرية . أو بشكل أدق إن العمليات العسكرية منبثقة وصادرة منه لأجل تحديد صيغة للأمن القومى الإسرائيلى أو احتياجات جوهرية أو احتمالية للمواجهة مع الدول العربية . إن منظور إسرائيل الاستراتيجى هذا يتراوح بين اتجاهين فى سياستها العسكرية العامة ، قام

* وصراع « عربى - إسرائيلى » من وجهة النظر العربية

بتحديدهما العالم الاستراتيجى الفرنسى جان - يول شارنيه هما : استراتيجية العقرب
واستراتيجية

العنقاء . وهذه التحديدات الاصطلاحية تدخل ضمن معتقدات استراتيجية عديدة من الممكن أن
تتعلق بالحرب الإسرائيلية القادمة والتي من المؤكد بأن العنصر النووى سيدخل فيها كعامل أساسى
وحتمى . فبعد الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ التقليدية أمست
الضرورة النووية لنقل الصراع الإسرائيلى العربى إلى موقع متصاعد آخر من قبل إسرائيل ومن
قبل العرب أنفسهم أيضاً

استراتيجية أمنية واستراتيجية نووية :

من المبادئ الأساسية التى اعتمدها فى استراتيجيتها الأمنية القومية ، هو الردع عن طريق
الانتقام المباشر والرد السريع على كل عدوان على حدودها أو على أحد مواطنيها فى داخل
إسرائيل أو خارجها ، بل وخاصة فى الخارج ، فمعظم العمليات الفدائية التى قامت بها المقاومة
الفلسطينية ضد إسرائيل فى الخارج ، ردت عليها إسرائيل بسرعة سواء عن طريق قصف مواقع
الفدائيين أو القيام بغزو لبلد عربى ما ، « لبنان مثلاً » .

إن هذا الإجراء الأمنى القومى يشكل ركناً أساسياً من استراتيجية إسرائيل فى حربها مع
العرب ، ويتوخى تأكيد نزعتين تحرص إسرائيل على إبرازهما للعالم العربى ولجمهورها الداخلى
هما : ١ - الحفاظ على «كرامة» إسرائيل دولياً وأمام المواطن الإسرائيلى نفسه عن طريق إبراز
قدرتها الضاربة المتهبة للتصدى لآى اعتداء على مواطنيها فى الخارج أو على حدودها الآمنة ،
وإبراز قدرتها على قيادة عدوان مضاد ومباشر يحقق معنوياً وفكرياً التفوق الإسرائيلى على الدول
العربية مجتمعة . ويمكن وضع غزوها للبنان عام ١٩٨٢ أو قصفها لمواقع منظمة التحرير فى تونس
فى أيلول ١٩٨٥ ضمن هذا الإطار الأمنى الاحترازى .

٢ - والنزعة الثانية التى تريد إسرائيل تأكيدها هى قدرتها على الردع عن طريق التفوق
العملياتى والتفوق التقنى كمياً ونوعياً على صعيد الأسلحة ، وهذا بالضرورة يحقق نمطاً من الردع
المعنوى الاستباقى اتجاه غريمها الأساسى : البلدان العربية

إن هذه الخطوط الأمنية هي قواعد واتجاهات نظرية دائمية تلتزم بها إسرائيل إضافة إلى ممارستها الأمنية التطبيقية على مستوى التسليح والتطوير التكنولوجي الدائب للصنوف الفعالة داخل جيشها . ومن ثم تطوير الخطة الأمنية النظرية باتجاه يتراكب مع التطورات الطارئة على الطبيعة النوعية التسليح في بلدان الشرق الأوسط العربية أو الإسلامية . ونرى ذلك جلياً فيما يخص السلاح النووي والاحتمالية الواسعة لدخول العامل النووي كطرف تقني جديد في الصراع العسكري العربي - الإسرائيلي .

لقد بنت إسرائيل ، نتيجة لهذا الاحتمال ، عدداً نظرياً جديداً في استراتيجيتها الأمنية . فان امتلاك باكستان ، كدولة إسلامية ، القنبلة النووية ثم قيام العراق بمشروع بناء مفاعل نووي ، طرح لدى إسرائيل احتياطات جديدة لهذه « المفاجأة » المستجدة ، فأُسست موقفاً نظرياً مبدئياً لمواجهتها يتلخص في عدة خطوط عامة أبرزها : إن إسرائيل ، بادىء ذي بدء ، ضد أى قوة نووية عربية كانت أو إسلامية (باكستانية) ، وقد أخذت بنظر الاعتبار التأخر التكنولوجي العربي كعامل يقلل من شوكها ومخاوفها إزاء احتمالية امتلاك البلدان العربية للسلاح النووي . ثم إنها شبه متيقنة بأن قوى المعسكر الاشتراكي سوف لن تزود العرب بقوة نووية رغم مساعداته الكثيرة والمتقدمة في مجال الأسلحة التقليدية ، في حين أن الغرب (والولايات المتحدة بالذات) ، مستعد لمساعدة إسرائيل نووياً إذا اقتضى الأمر . (٧٤)

لكن ، وفي مقابل ذلك ، تدرك إسرائيل بأن قوة البترول - دولار التي يملكها العالم العربي تؤهل العرب لأن يبتاعوا سلاحاً نووياً من الغرب أو يطوروها إمكانيات تقنية نووية . وأن أى دولة بترولية لا تسير في الاتجاه السياسي الذي انتهجه السادات في الصلح مع إسرائيل ، لا تتردد في استخدام السلاح النووي ، في حالة امتلاكها له ، من أجل إنهاء النزاع مع إسرائيل عن طريق القوة العسكرية . وإسرائيل على يقين تام بأن العرب لو امتلكوا القنبلة النووية فإنهم سوف لن يحجموا عن استخدامها ضد إسرائيل في حالة نشوب حرب بالأسلحة التقليدية تتضمن احتمال انتصار إسرائيل . كما أن امتلاك العرب السلاح النووي يجعل الانتصار العسكري العربي أمراً مؤكداً ، سواء عن طريق استعمال هذا السلاح بشكل مباشر ، أو تحقيق الانتصار عن طريق حرب تقليدية يكون السلاح النووي فيها عاملاً روع لإسرائيل لمنع انتصارها عن طريق القيام بعمل عسكري حاسم . وعلى هذا الأساس ينتج عن إسرائيل امتلاك القوة النووية لتحقيق الردع المقابل والحيطة ديمومتها وأمنها القومي . وعن طريق امتلاك القنبلة النووية تستطيع إسرائيل أن تمنع أي عدوان نووي عربي في حالة حصول العرب على السلاح النووي ، وإن حصل مثل هذا العدوان فإنها

تستطيع أن ترد بالمثل عن طريق ضرب العواصم العربية الاستراتيجية مثل القاهرة وبغداد ودمشق، خاصة وأن المدن العربية برمتها غير محصنة ضد السلاح النووي وهذا النقص يشكل ردياً ذاتياً للبلدان العربية عن استخدام السلاح النووي ضد إسرائيل في حالة امتلاكه . وتعتمد إسرائيل على هذه النقطة من « الردع الذاتى المقابل » فى استراتيجيتها النووية المستقبلية.

كما أن إسرائيل تستطيع استخدام السلاح النووي من خلاله ضربة نووية استباقية فى حالة قيام حرب تقليدية قد ينتصر فيها العرب ، فالسلاح النووي هنا لا يجعل كفة العرب هى الراجحة ولا يسبب انهيار إسرائيل ، ولذلك فإن امتلاك السلاح النووي أمسى ركناً نظرياً أساسياً فى نظرية الأمن القومى لمواصلة تحقيق الردع والتفوق العسكرى على الدول العربية مجتمعة .

وفيما يخص تحويل إسرائيل إلى دولة نووية ، هنالك ثلاثة اتجاهات داخل المؤسسة السياسية – العسكرية الإسرائيلية :

١ – اتجاه ضد التسليح النووى .

ويمثله الجنرال الآن والجنرال روبين والسياسى الإسرائيلى أبا ايبن . ويرى هذا الاتجاه بأنه لا موجب لتصعيد الصراع مع العرب بأكثر مما هو عليه الآن ، فعلى إسرائيل أن لا تزيد من عدائية وكره العرب لها أكثر مما هم عليه الآن ، وعليها أن تخلق نوعاً من الطمأنينة الاجتماعية لدى مواطنها الإسرائيلى والمواطن العربى وتعينها على التعايش السلمى وقبول إحداهما للآخر ، الأمر الذى سيرسخ أمن إسرائيل وجودها ، خاصة وأنها فى وضع عسكرى قوى ولها حدود استراتيجية آمنة ، ثم أن المساعدات الأمريكية لها عامل مساعد على صيانة الأمن والديمومة الإسرائيليين بدون الحاجة إلى اللجوء للعامل النووى .

٢ – الاتجاه الثانى هو الاتجاه النووى المعتدل :

والذى كان يمثله كل من بن غوريون وموشى دايان وكذلك شمعون بيريز ، مثله كذلك لفترة مؤقتة مناحيم بيغن قبل أن يمضى من الدعاة المتطرفين للسلاح النووى . ويقضى هذا الاتجاه بإعادة الأراضى العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ولكن مع تحقيق امتلاك أكيد للقنبلة النووية ، كبديل للحدود الآمنة السابقة ، وعدم التردد فى استعمالها فى حالة هجوم عسكرى عربى على إسرائيل .

٣ – اتجاه نووى متطرف :

ويمثله بالدرجة الأولى أرييل شارون ثم مناحيم بيغن الذى كان نووياً معتدلاً ، وهما من الذين

تعرضوا إلى الهولوكوست والإبادة الجماعية لليهود على يد النازية فى أوروبا ، ومن هنا جاءت سياستهم المتشددة مع قوى المقاومة الفلسطينية فى بيروت ، ونراهم يصرون على دخول العامل النووى إلى إسرائيل لسد الثغرة الحاصلة فى عدم التوازن العسكرى العربى الإسرائيلى بسبب التطور التكنولوجى المتصاعد فى البلدان العربية بفضل المساعدات فى الخبرات والمعدات التى قدمها الاتحاد السوفيتى لهذه البلدان.(٢٥)

إن التجربة والزمن الاستراتيجى * قد دفعا بإسرائيل فى النهاية لأن تتبنى الاتجاه الثالث و خاصة أن مطلع سنوات الثمانينات قد حمل تطوراً كبيراً فى السلاح والاستراتيجية العربيين سوف نتطرق إليهما بعد قليل .

من هذه المتغيرات العامة استطاعت إسرائيل أن تتوصل إلى معطيات نهائية شاملة لنظرية أمنية نووية ، هى كما يسميها الاستراتيجى الفرنسى جان - بول شارنيه بـ «استراتيجية العقرب و استراتيجية العنقاء» وهى الحدود النهائية والقصى التى يمكن أن يقود إليها دخول العامل النووى كأفق جديد داخل الصراع . فيرى أن المنطق المطلق للردع النووى سيجرُّ إسرائيل إلى اتباع استراتيجية العقرب القاضية بأن تقتل نفسها لتأمين الخلاص من نطاق النار النووية العربية المؤثرة ، اخل « حدودها » الإقليمية . وهذا يعنى بأنها لو واجهت حقاً خطراً نووياً عربياً ، فإنها سوف نحرص على البدء بضربة استباقية نووية تدمر فيها البلدان العربية الهامة كأهداف استراتيجية وسوف لا تبالى بعد ذلك بالرد النووى الانتقامى العربى الذى سوف يدمرها بدوره ولكن بعد أن حققت هدفها الاستراتيجى تجاه أعدائها وأختارت هذه النتيجة بإرادتها . ولذلك فإن إسرائيل تصر بقوة على امتلاك السلاح النووى ، فإن امتلاكها لهذا السلاح سيجعلها قادرة على فرض شروطها التى تحكم مصالحها . وإذا فإن اختيارها الإرادى للغرق مع عدوها (الدول العربية) داخل حرب نووية اتفاقية ومؤقتة ، سيساعدها على البقاء فيما بعد وعلى التطلع إلى أفق استراتيجى جديد هو فعل الولادة والانبعث مرة أخرى . وهنا تتجلى استراتيجية ثانية مكتملة هى استراتيجية العنقاء التى تتبع من جديد بعد موتها . بيد أن هذا الانبعث سيكون ذا ثمن باهظ هو استهلاك تام لسمعتها ورصيدها العالميين إضافة إلى هياج عربى شعبى ساحق يعلن الحرب على إسرائيل وينادى

* الزمن الاستراتيجى *le temps strategique* : مفهوم يتضمن المسار التطورى التراكمى للتجربة والنظرية العسكرية السياسية مقترنة بالجال الزمنى كوعاء يحتوى هذه الصيرورة الطردية للخبرة التكتيكية فى الحرب والسياسة .

بتدميرها . فلحد الآن لم تفلح أية حرب بين العرب وإسرائيل ، سواء كانت نتيجتها انهزام العرب أو انتصارهم المحدود ، على ثنى العرب عن عزمهم فى مواصلة المعركة حتى النهاية حتى لو كان هذا العزم متأثراً من تصريحات شفوية فحسب ، فإنه يبقى ذا فعالية استراتيجية عميقة الأهمية . (٢٥)

المتغيرات والضرورات الأمنية الجديدة :

إن نظرية الأمن الإسرائيلى قد بنت نفسها على التفوق والاحتفاظ به ، ثم تطورت بشكل موازٍ للاحتتمالات المتعلقة بظهور العامل النووى . لكنها وجدت نفسها تجاه ضرورات جديدة فى سنوات الثمانينات عندما انبثق تطور تصاعدى سريع داخل الوضع العسكرى العربى نتيجة للمتابعة والخبرة المتزايدة التى خلقتها النزاعات العسكرية التى نشبت فى السنوات الأخيرة داخل المنطقة . فقد تصاعدت القدرة التقنية والعملياتية للجيش السورى بفضل الاستمرار فى عملية التسليح والحصول على الأسلحة الحديثة والمتطورة من الاتحاد السوفيتى الأمر الذى منح هذا الجيش كفاءة تقنية هامة ومتقدمة توازى القدرة التقنية المتطورة للجيش الإسرائيلى . ومن جهة أخرى اكتسبت الجيش السورى خبرة عملياتية جديدة بسبب التجربة العسكرية السورية فى لبنان والمواجهة مع إسرائيل أثناء غزو عام ١٩٨٢ .

كما أن القدرة التقنية والعملياتية للجيش العراقى قد اكتسبت تطوراً متصاعداً بسبب الحرب مع الجمهورية الإسلامية ، فقد ارتفعت الكفاءة التقنية له بشكل متطور وكبير بفضل المساعدات فى الأسلحة المتقدمة والخبرات التى قدمتها الدول الغربية إلى العراق والتى لم تقدمها سابقاً إلى بلد آخر . هذا بالإضافة إلى المساعدات فى المعدات العسكرية التى يقدمها الاتحاد السوفيتى إلى الجمهورية العراقية منذ مدة طويلة .

نتيجة للتطور الجذرى الهام للجيش العربى فى السنوات الأخيرة أمسى ميزان القوى مع إسرائيل ذا معادلات مخالفة تحتم عليها الاعتماد على قوى إضافية جديدة فى استراتيجيتها العسكرية لتحقيق الهدف العام الأسبق وهو الاستمرار فى التفوق العسكرى على الجيوش العربية مجتمعة .

إن الاحصائيات والاستقصاءات التالية ، حسب تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن تبين هذا الاختلال التام فى ميزان القوى العسكرية بين إسرائيل والدول العربية ، هذا مع الإشارة بأننا سوف لن نذكر من الجانب العربى سوى العراق وسوريا بسبب خروج مصر من المواجهة العسكرية

ثم سعى الأردن لإيجاد صيغة ما لحل سلمى مع إسرائيل ، ثم أن القيمة التسليحية للجيش الأردني قليلة الأهمية مقارنة للجيشين السوري والعراقي مع الأخذ بنظر الاعتبار بأن هذا الجيش (أى الجيش الأردني) إضافة إلى الجيوش العربية الأخرى يعتبر جيش مواجهة دائمة مع إسرائيل إذا اقتضى الأمر ، هذا ما تأخذه إسرائيل بالحسبان ، ناهيك عن الإضافات المتتالية للعامل البشرى للجيوش العربية . غير أن جيشى العراق وسوريا مؤهلان حالياً لاخترق ونسف نظرية الأمن الإسرائيلى السابقة والقائمة على التفوق العسكرى للجيوش العربية مجتمعة .

وفى الإحصائيات التالية سوف لن نذكر الأرقام التفصيلية لكل المعادلات الهامة والمتعلقة بالمساحات الجغرافية السياسية أو بالأمور التفصيلية للمستوى التقنى للجيوش بل سنكتفى بالأرقام المتعلقة بالصنوف الأكثر أهمية ، وبالعوامل الأكثر حسماً داخل الصراع العسكرى، والجدير بالذكر أن الإحصائية التالية هى آخر إحصائية صدرت لحد الآن وتشمل العامين ١٩٨٤ - ١٩٨٥ :

إسرائيل :

- مجموع القوات المسلحة النظامية : ١٧٥ ألف شخص (بينهم حوالى ١٢٠ ألف مجند).
- الاحتياطى الإجمالى العام : ٣٧٥ ألف شخص .
- مجموع القوات المسلحة بعد ٢٤ ساعة على إعلان التعبئة العامة : ٢٧٥ ألف شخص .
- مجموع القوات المسلحة بعد ٧٢ ساعة على إعلان التعبئة : ٥٥٠ ألف شخص . (٢٧)
- القوات البرية فى حالة التعبئة العامة : ٤٥٠ ألف شخص .
- سلاح الجو : ٣٠ ألف شخص (بينهم ٥ آلاف مجند)
- سلاح البحرية فى حالة التعبئة العامة : ٢٠ ألف شخص .
- عدد الدبابات : ٤٤٠ .
- عدد العربات المدرعة : ١٠٦٠٠ .
- قطع المدفعية الثقيلة : ١٦١٥
- راجمات الصواريخ : ٥٠٠
- منصات صواريخ أرض - أرض : حوالى ٥٠ .
- التشكيلات البرية الرئيسية : ١١ فرقة مدرعة (تتألف كل منها من ثلاثة ألوية مدرعة ولواء

مشاة ميكانيكية) . وتضم هذه الفرق الوحدات التالية : ٣٣ لواء مدرعاً يتألف كل منها من ٢ كتائب
دبابات وكتيبة مشاة ميكانيكية ، ١٣ لواء مشاة ميكانيكية ، ١٥ لواء مشاة مستقل، ٥ ألوية مظليين
وقوات محمولة جواً ، ١٥ لواء مدفعية . (٢٨)

— مجموع الطائرات العاملة : ١٣٩٣

— عدد الطائرات القتالية الرئيسية (الصف الأول) : ٦٢٠ طائرة إضافة إلى ٦٠

هليكوبتر هجومية .

— مجموع عدد الطائرات الرئيسية والمساندة (الاحتياطية) ٧٥٨ .

— مجموع عدد الأسراب العاملة : ٤٢ .

— القواعد الجوية الرئيسية : ١١ (بالإضافة إلى ٢٣ قاعدة ثانوية أخرى) .

— القوات البحرية : ٣ غواصات و ٢٨ قطعة سطح وثلاث قواعد بحرية رئيسية . وعدد كبير من

الزوارق الفعالة بينها ٢٤ زورقا هجومياً صاروخياً .

سوريا :

— مجموع القوات المسلحة النظامية : ٣٣٠ ألف رجل (بمن فيهم نحو ١٥٠ ألف مجند) .

— الاحتياط الاجمالي العام ٥٠٠ ألف رجل .

— القوات شبه العسكرية : حوالى ٤١٠ ألف شخص (بمن فيهم ٤٠٠ ألف شخص من أفراد

الجيش الشعبى) .

— المجموع عند التعبئة العامة : ٨٣٠ ألف شخص .

— قيادة الدفاع الجوى : ٥٠ ألف شخص (من التابعين للجيش ولسلاح الجو)

— سلاح الجو : ٧٥٠ ألف شخص .

— سلاح البحرية ٥ آلاف شخص .

— عدد الدبابات ٤٢٠٠ .

— عدد العربات المدرعة : ٣٦٠٠ .

— قطع المدفعية الثقيلة : ٣٠٠٠

— راجعات الصواريخ : ٥٠٠

– التشكيلات البرية الرئيسية : ٦ فرق مدرعة تتألف الواحدة من لوائين مدرعين ولواء مشاة ميكانيكية ، وفرقتى مشاة ميكانيكية تتألف الواحدة من لواء مدرع ولوائى مشاة ميكانيكى ، ولوائين مدرعين مستقلين ، ٤ ألوية مشاة ميكانيكية مستقلة ، ١٠ ألوية مدفعية مستقلة ، ١٢ فوجاً وحدات خاصة ، ٣ أفواج مظلين وقوات محمولة جواً ، ٣ أفواج صواريخ تكتيكية أرض – أرض .

– مجموع القوات البحرية : ٥٠٠٠ رجل والاحتياطى ٥ آلاف رجل أيضاً و ٢٤ قطعة قتالية رئيسية و ٢٢ زورق هجومى صاروخيا .

العراق :

– مجموع القوات المسلحة النظامية : ٥٢٠ ألف شخص (بمن فى ذلك حوالى ٢٠٠ ألف من المجندين) .

– الاحتياطى الإجمالى العام : نحو ٢٨٠ ألف شخص (منهم نحو ٢٠٠ ألف يعملون حالياً فى القوات المسلحة)

– القوات شبه العسكرية : نحو ٤٦٠ ألف شخص (بمن فى ذلك ٤٥٠ ألفاً من قوات الجيش الشعبى)

– المجموع العام للقوات النظامية الدائمة : ٣٢٠ ألف شخص

– المجموع عند التعبئة العامة : حوالى ٦٠٠ ألف شخص .

– الجيش (القوات البرية) حوالى ٤٧٥ ألف شخص (منهم حوالى ٢٠٠ ألف من المجندين)

– سلاح الجو : ٤٠ ألف شخص .

– سلاح البحرية : ٥ آلاف شخص .

– عدد الدبابات : ٣٦٦٠

العربات المدرعة : ٤٠٠٠

– قطع المدفعية الثقيلة : ٢٢٨٠ .

– راجمات الصواريخ : ٤٠٠ .

– منصات الصواريخ أرض – أرض : حوالى ٤٨ .

– التشكيلات البرية المختلفة : ٤ فيالق مختلطة (يضم الفيلق الواحد عادة ٢ – ٣ فرق مدرعة و ميكانيكية من الفرق المدرجة : ٦ فرق مدرعة ، ٥ فرق مشاة ميكانيكية ، ٨ فرق مشاة / فرق جبلية) من بينها فرقتان من الألوية الاحتياطية) ، فرقة حرس جمهورى واحدة (تتألف من لوائين مدرعين) ، ٣ ألوية قوات خاصة (معظمها من الوحدات المحمولة جواً بطائرات الهليكوبتر) ٣ ألوية احتياطية مشاة ، ١٥ لواء متطوعين (تتبع قوات الجيش الشعبى) ، ٣ ألوية متطوعين عرب (من الأردن و مصر والسودان والمغرب وجنسيات عربية أخرى) . (٢٣)

– مجموع عدد الطائرات العاملة : ١١٤٠ .

– عدد الطائرات القتالية الرئيسية : ٤٢٠ بالإضافة إلى حوالى ١٥٠ هليكوبتر هجومية .

– مجموع عدد الأسراب العاملة : ٣٩ .

– عدد الأسراب القتالية الرئيسية : ٢٤ .

القواعد الجوية الرئيسية : ١

– القوات البحرية : ٤٩ قطعة بحرية عاملة بينها ١٨ قطعة قتال رئيسية ، موزعة على ثلاث قواعد بحرية رئيسية ، وتتضمن القطع العاملة ٤ فرقاطات صاروخية من فئة « لوبو » فرقاطة واحدة إزاحة ١٨٥٠ طناً ، ٦ سفن حراسة ، ٨ زوارق هجومية صاروخية ، زورقين هجوميين ، مدفعين ، ٦ زوارق طوربيد . (٣٣)

من هنا نرى أن إسرائيل قد اعتمدت على العامل النووى كعامل رئيسى فى خلق قدرة جذرية جديدة لنظرية أمنها القومى السابقة ، قدرة موازية للنقلة التقنية والكمية و النوعية ، التى طرأت على الجيوش العربية .

إن القراءة العامة لهذه الجداول الثلاثة تمنح قناعة تامة بالتفوق العربى كمأ ونوعاً فى المعدات وفى العامل البشرى ، ثم إن هذا التطور المتصاعد فى الخبرة التقنية وكمية المعدات قد اقترن باكتساب خبرات قتالية وميدانية جديدة ، ولا سيما عند دول المواجهة مثل سوريا والعراق . ففى حسابات الاستراتيجيين الإسرائيليين بأن العراق قد خلق جيشاً ذا خبرة نادرة من خلال تجربته فى الحرب مع إيران ، إضافة إلى تزايد معداته العسكرية وحدثاتها ، ناهيك عن الازدياد العددي والنوعى للمعدات العسكرية للجيش السورى .

أمام هذه المتغيرات الجذرية المستجدة لا تجد إسرائيل مناصاً فى الحفاظ على تفوقها إلا عبر

حصولها على السلاح النووي ، ومضاعفة التطور والإمكانية أو القدرة التقنية لهذا السلاح .
إن دخول السلاح النووي إلى الجيش الإسرائيلي هو جانب تقنى بحث ، سيرافقه بالضرورة تطوير للجانب الفكرى العسكرى على صعيد الاستخدام العمليّاتى ، والتعبوى له . غير أن امتلاك إسرائيل للسلاح النووي لا يعنى أبدأ الاكتفاء به وعدم تطوير التنظيرات الاستراتيجية المتعلقة بالأسلحة الأخرى أو بالجوانب العسكرية الأخرى التى تكون العمود الأساسى فى العسكرية الإسرائيلية فلقد أدركت القيادة العسكرية بأن التطور الجديد الحاصل فى الجيوش العربية يتطلب خلق نظرية استراتيجية أمنية جديدة تعتمد على مقومات تلبي حاجة التغيرات الراهنة فى صفوف العدو ، وتحل محل التنظيرات الأمنية والاستراتيجية السابقة وتبنى أساساً حديثة للمنظومات الاقتصادية - العسكرية والتنظيم الإدارى - العسكرى ، أو السياسة الخارجية المتعلقة بالبناء العسكرى ... وما إلى ذلك .

وفى نهاية السبعينات شرع الاستراتيجيون الإسرائيليون بوضع أسس إضافية على نظرية الأمن القومى الإسرائيلى ، دون التغيير فى البنى التى اعتُبرت أساسية فى السابق و لا غنى عن ديمومتها مع إمكانية رفدها بجوانب تأسيسية جديدة .

إن أهم ما يمكن أن يشير إلى اتجاه إسرائيل فى بناء نظرية أمنية جديدة للثمانينات هو القرار الذى اتخذه وزير الدفاع الإسرائيلى عازر وايزمان فى مطلع شهر كانون الأول ١٩٨٠ والقاضى باستدعاء اللواء المتقاعد يسرائيل تال من الاحتياط وتعيينه على رأس قيادة القوة البرية المستحدثة (٣٤) ولا شك فى أن هذا القرار يحمل أهمية بالغة ، فزال هو نائب سابق لرئيس أركان الجيش الإسرائيلى ، وقد استقال من منصبه احتجاجاً على عدم تعيينه فى منصب رئيس الأركان محل دافيد أليعارز بعد استقالة هذا الأخير من منصبه على أثر حرب تشرين ١٩٧٣ وعلى الرغم من أن تال استمر يحمل رتبة لواء فى الاحتياط إلا أن دوره المباشر على صعيد الجيش قد انتهى عملياً إثر استقالته ، لكنه انصرف بالمقابل إلى أعمال التأليف والبحث النظرى فى المجالين الاستراتيجى والتكتيكى العمليّاتى (٣٥)

إن يسرائيل تال من أبرز المفكرين العسكريين الإسرائيليين ، وتجمع الآراء على أنه المسؤول الأول والأساسى عن وضع وتطبيق المبادئ الاستراتيجية والتكتيكية للقوات المدرعة الإسرائيلية خلال الستينات والسبعينات ، ولهذا فإن تعيينه رئيساً للقوات البرية يعتبر بداية لتأسيس نظرية أمنية جديدة تتواءم مع المتطلبات الحاصلة فى موازين أطراف الصراع العربى - الإسرائيلى .
فأثناء وجود تال خارج الخدمة العسكرية الفعلية ، كتب دراسة مطولة عام ١٩٦٧ بعنوان «

عقيدة الأمن القومي الإسرائيلية : خلفيتها وحركتها « وتتضح الأهمية العميقة للدراسة من كونها بؤار تنظيرية تأسيسية جديدة فى نظرية الأمن القومى ، حيث تتناول تطور العقيدة العسكرية فى إسرائيل منذ إنشائها . وحل تال التطبيقات التكتيكية والعملياتية والتنظيمية الناشئة عن تلك العقيدة ودعا إلى إعادة النظر فى الكثير من الجوانب التى اشتملت عليها ، وركز على احتمالات تطويرها المستقبلية مبرراً ذلك بقوله « يتضح من خلال المراجعة بأن الفكر العسكرى الإسرائيلى ، حتى يومنا هذا ، ليس إلا سلسلة من الهوامش التى تم إلحاقها وإضافتها على العقيدة الأساسية التى تبلورت فى إسرائيل خلال الخمسينات ، ويصبح من الضرورى والمفيد فى هذه الحالة النظر إلى الخلف من أجل تحليل ودراسة المعطيات التى أدت إلى تأسيس هذه العقيدة . إذ أنه على الرغم من الاصلاحات والتغييرات العديدة التى تم إدخالها ، ولم تكن تؤدى دائماً إلى الأفضل فإن الأسس بقيت هى نفسها ».(٣٦)

وتتلخص الاستنتاجات التى توصل إليها تال بتركيزه على الصعيد الاستراتيجى الشامل على ضرورة استمرار إسرائيل فى العمل من أجل الاحتفاظ بتفوقها « النوعى » لمواجهة « الكم » العربى مع اعترافه بصعوبة مثل هذه المهمة نظراً للتقلص المستمر فى الفارق النوعى بين الطرفين . وشدد تال على الترابط القائم بين مسألتى « الكم والنوع » من جهة و « العمق الاستراتيجى » من جهة أخرى ، متوصلاً إلى استنتاج يدعو فيه إلى بقاء المبادرة فى يد « القلة » المتفوقة نوعياً عن طريق التعلق باستراتيجية « الضربة الاستباقية الأولى » بهدف نقل المعركة فى أسرع وقت إلى عمق الطرف المعادى .(٣٧)

وعلى الصعيد التكتيكي العملياتى أكد تال على ضرورة تعزيز الجيش « المتفرغ » عددياً ، و زيادة تخصصه الفنى والتكنولوجى ، ولو أدى ذلك إلى التقليل من الأهمية التاريخية لمبدأ الجيش الشعبى « الميليشيا » الذى سارت عليه إسرائيل منذ إنشائها . ثم جدد تأكيداً على أهمية القوات المدرعة المتحركة واعتبارها « الوحيدة القادرة على نقل الحرب إلى أرض العدو وحسمها لغير صالحه » .

لقد وافق وزير الدفاع الإسرائيلى وايزمان على اقتراحات تال فى الشهر الأخير (ديسمبر) من عام ١٩٧٩ . وصرح وايزمان بأن إصلاحات تال ستؤدى إلى دخول القوات المسلحة الإسرائيلية إلى سنوات الثمانينات بشكل أقوى وأكثر توحيداً وأعلى فعالية من أى وقت مضى ، (٣٨) أى أن مقترحات تال ستكون الأسس المتحكم بصياغة نظرية الأمن القومى الإسرائيلى فى الثمانينات ملاوة على تضمينه لبناء تأسيسى وقواعد أخرى تشمل النواحي الاقتصادية والسياسية الخارجية

والبناء الاجتماعى وعلاقته بالمنظومة العسكرية الإسرائيلية، هذا إضافة إلى الدقة الجديدة فى الفروع التقنية والمتخصصة للتطبيق العملي الحربي ، ومن هذه الأسس نستطيع أن نتبين الخطوط العامة لفكرة الأمن القومى الإسرائيلى فى الثمانينات ، والأركان الاستراتيجية العسكرية كعامل تنفيذى لهذه النظرية .

ومن الجدير بالذكر أن العناصر المستجدة على الصعيد السياسى والتي ستأخذها إسرائيل بعين الاعتبار فى صياغة استراتيجيتها الأمنية لسنوات الثمانينات هو خروج مصر من المعركة بعد زيارة السادات لإسرائيل عام ١٩٧٧ وعقد اتفاقية كامب ديفيد لتكريس السلام بين مصر وإسرائيل ، وبذلك فإن كل نزاع عربى - إسرائيلى جديد يبقى شيئاً غير وارد فى الحسابات العقلانية مادام الوضع باقياً على ما هو عليه ، وأن البلد الوحيد الذى يستطيع أن يغير هذا الوضع هو مصر عبر قيامها بعملية ما داخل الأراضى الإسرائيلية (٣٩)

لكن هذا التوقع الإسرائيلى يبقى ضعيفاً مثل توقعاتها السابقة التى ظهرت بعد حرب ١٩٦٧ ، والتى قامت على أمل الضعف الاقتصادى المصرى بعد إغلاق قناة السويس (٤٠) واحتمالاتها لأن يكون ميناء إيلات مركزاً هاماً على الطريق الملاحى المتوجه إلى آسيا عوضاً عن قناة السويس متناسية فى احتمالاتها المساعدات العربية لمصر كدولة مواجهة أولى فى النزاع العربى الإسرائيلى . والأمر الثانى الذى تعتقده إسرائيل هو أن العرب لن يقوموا بضربتهم الاستباقية الأولى و سيكون زمام المبادرة بيد إسرائيل على الدوام . وهذا ليس اعتقاداً إسرائيلىاً فقط بل اعتقاداً عالمياً بأن الضربة الاستباقية الاستراتيجية ستكون بيد إسرائيل ، وحتى فى أحسن الأحوال فإن بعض القوى العالمية التى لا تظن أن الضربة الاستباقية ستكون بيد إسرائيل فحسب لا تظن أن العرب أو الإسرائيليين راغبون حالياً فى أخذ المبادرة وشن العدوان ، ويمثل الاتحاد السوفيتى هذا الرأى (٤١)

لقد أخذت إسرائيل بعين الاعتبار عند صياغة نظريتها الأمنية فى الثمانينات بأن القوة الجوية لم تعد عامل حسم داخل المعركة مثلما استخدمتها فى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ ، لكنها أمست عاملاً مساعداً بشكل هام من غير أن يتوقف عليه حسم المعركة ، ففي حرب حزيران ١٩٦٧ اعتمدت إسرائيل على قوتها الجوية بشكل أساسى بالرغم من قوة تنظيم وتجهيز وتنقية جيشها البرى ، فقد استعملت القوة كعامل يساعد فى حسم المعركة البرية ، فكما يرى الجنرال بوفور أن المعركة البرية الكلاسيكية تسمى ذات كسب أكيد إذا ما سوندت بتفوق جوى على العدو (٤٢)

إلا أن هذه المعطيات العملية التكتيكية قد تغيرت فى حرب تشرين ١٩٧٣ بفضل صواريخ »

سام « السوفياتية التي امتلكها العرب الذين أدركوا أهمية التفوق الجوى الإسرائيلي وضرورة معالجته بوسيلة تقنية خاصة . فقد أراد الإسرائيليون فى حرب ١٩٧٣ مواصلة الاستخدام الحاسم لطائراتهم الهجومية لكن سلاحهم الجوى أصيب بخسائر فادحة (٤٣) ، مما جعلهم إزاء أمر واقع جديد يحتم تغيير استراتيجية الاعتماد على القوة الجوية كعامل حسم .

ومن جهة أخرى يرى بعض الاستراتيجيين أن التفوق الإسرائيلى لم يكن تقنياً فقط بل كان إلى حد كبير تفوقاً معنوياً فى نفسية الجنود والمقاتلين . فإن الجيش الإسرائيلى هو جيش شعبى بكل معنى الكلمة ، وكل الشعب الإسرائيلى مجند للقتال من أجل البقاء والاستمرار فى الحياة داخل دولتهم المهددة ، بينما الجيوش العربية لا تمتلك نفس هذه البنية التكوينية . (٤٤) ولذلك حرصت القيادة الإسرائيلية على الحفاظ على تفوقها المعنوى وحمايته من كل مؤثرات الصدمات الخارجية ، وذلك عن طريق الكذب الإعلامى وإيصال الحقائق معكوسة إلى مواطنها للحفاظ على ثباته وإيمانه بجيشه ، وبتفوق هذا الجيش ، فعلى سبيل المثال نرى أن الجيش الإسرائيلى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد انهزم على الجبهة المصرية منذ الساعات الأولى للقتال بعد انهيار خط بارليف ، وتقدم القطعات المصرية فى سيناء فقد قامت كولدا مائير رئيسة الوزراء آنذاك بزيارة فورية بالطائرة إلى الجبهة فى مساء ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وشاهدت الجيش الإسرائيلى وقد خسر المعركة منذ الساعات الأولى ، ولكنها عادت بعد ساعات إلى تل أبيب لتظهر على شاشات التلفزيون الإسرائيلى وتخطب الجمهور مؤكدة عدم خطورة العدوان العربى ، وأن الجيش الإسرائيلى سيلحق بهم خسارة فادحة (٤٥) كما أن موشه ديان الذى كان كلامه يمسى بثقة كبيرة لدى الشعب الإسرائيلى قام بزيارة للجبهتين المصرية والسورية فى اليوم نفسه ، وعاد إلى تل أبيب ليخاطب الناس من الإذاعة والتلفزيون قائلاً : « إن العرب لن يجنوا أى كسب من هذه الحرب (...) إن سكان تل أبيب يستطيعون النوم هذه الليلة ملء جفونهم وباطمئنان تام » (٤٦)

إن هذه الصيغ الخطابية الإعلانية تشير إلى المدى الذى تهتم به إسرائيل بمعنويات سكانها الذين يشكلون الأغلبية المقاتلة داخل جيشها القائم على القوة الاحتياطية ، ولذلك فإن المعنوية القتالية كانت جانباً هاماً من جوانب نظرية أمنها القومية . فعلاوة على الخطة التسلحية والمنظومة الاستراتيجية فى فكرها العسكرى ، احتل الجانب المعنوى والحرب النفسية جزءاً من خطتها الكلية ونظريتها الأمنية الجديدة ، والجانب المعنوى يتعلق بجبهتين : الجبهة الداخلية أى المواطن الإسرائيلى ، والجبهة الخارجية أى العرب حيث تتعامل معهم بمنطقية وهدوء ، وخاصة عبر إذاعتها العربية التى تذيع أفضل الأغانى لأحب المطربين للمواطن العربى مثل فيروز وأم كلثوم وعبد الحليم

حافظ وما إلى ذلك في محاولة مؤثرة ، وفق منظور علم النفس الاجتماعي ، لتهيئة أرضية ذهنية لدى المستمع العربي للاقتناع بنشراتها الإخبارية ، بعد ذلك باعتبارها مصدر بث غير عدائي لمشاعره الخاصة ، غير أن هذه الإذاعة سرعان ما تفصح عن مشاعر العداء الواضح والمباشر في حالة تعرض إسرائيل لخطر الهزيمة في الحرب وتهديد كيائها ووجودها ، وهذا ما حصل في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ عندما فقدت الإذاعة « أعصابها » و « منطلقها » الهادئ لتسقط في الشتم والتهديد المباشرين مثل مخاطبة العرب بالعبارات التالية « سوف نحيل أيامكم إلى ليالٍ حالكة وسوف نريكم النجوم في وضغ النهار ، وسوف نمرغ وجوهكم وأنوفكم في الوحل الخ » (٤٧) فالإذاعة تفصح عن نفسها عندما يتهدد وجود إسرائيل ويمسى المواطن العربي مدفوعاً بعاطفته الوطنية في مواجهة عدو تقليدي شب نفسياً على مقاومته .

إن الحرب النفسية والاستراتيجية المعنوية قد احتلت جزءاً هاماً في النظرية الأمنية الإسرائيلية، وقد أخذتها القيادة العسكرية بنظر الاعتبار ضمن احترازاها الجديدة لسنوات الثمانينات .

سنوات الثمانينات والهيكلة النظرية الجديدة :

تستند الأسس النظرية الأولية لبناء سياسة أمنية إسرائيلية في الثمانينات على قاعدتين رئيسيتين يحددهما إسحاق رابين كما يلي : « القاعدة الأولى هي ضمان هوامش أمنية لدى تحديد الأهداف والتوجهات على افتراض إمكان حدوث تطورات تتجاوز ما يمكن توقعه . فإن مصير دولة إسرائيل مرهون بقدرتها على الدفاع عن نفسها بقوتها الذاتية ، وإن أى مساس بالحد الأدنى الضروري المطلوب من ناحية القوة العسكرية والأرض التي تحتلها وشبكة علاقاتها مع الولايات المتحدة ، يستوجب جعل إسرائيل قادرة على أن تترك لنفسها هوامش أمنية كافية لمواجهة ما هو غير متوقع وسلبي ، والقاعدة الثانية هي توفير عامل المرونة في بنية النظرية الأمنية ، أى تحديد السياسة — الأمنية وطرق العمل الواضحة لتوفير بدائل في حالة عدم تحقيق هذه الاتجاهات كاملة » (٤٨)

والقوة العسكرية الإسرائيلية ستكون محكومة بخطط نظرية عام يحددها إسحاق رابين كما يلي : « إن الهدف الأول والأساسي في سياسة إسرائيل الأمنية للثمانينات هو أن تضمن عدم تغير نسب

القوى العسكرية بيننا وبين القوة العربية الشاملة التي قد تشترك في الحرب لغير مصلحتنا ، بل يجب أن تحسن استخدام هذه النسب إن أمكن ذلك . وعلى إسرائيل أن تؤمن لنفسها من المصادر الداخلية (ولكن في الأساس من المصادر الخارجية) التزود بالأسلحة المطلوبة إزاء تعاظم القوة العسكرية العربية الذي سيتحقق في الثمانينات » . (٤٩)

ووفق ذلك يكون الأساس الأول هو التقوية المطردة للجيش الإسرائيلي ، ثم تأتي بعد ذلك أسس أخرى تلبي حاجة المتغيرات الحاصلة أو المتوقعة الحصول في مرحلة الثمانينات .

إن نظرية الأمن القومي تتخذ بعداً أكثر عمقاً وجذرية عند أحد استراتيجي إسرائيل الأكثر أهمية ، فيحدد المتطلبات الأمنية لها في سنوات الثمانينات بقوله : « في المفهوم العالمي ، إن الأمن القومي هو قضية نسبية وينطبق بشكل عام على المحافظة ، فقط ، على السيادة القومية ، أما بالنسبة إلينا (نحن الإسرائيليين) فالأمن القومي ليس عنصراً نسبياً بل مطلقاً ، لأن وجودنا المادى بالذات متوقف عليه ، أى في حالتنا ، يغدو الفحوى الكامل لعبارة « أمن » مطابقاً لمفهوم الوجود عموماً . وقبل أن ندعو إلى استخدام واسع للقوة من أجل تحقيق أهداف قومية طموحة ينبغي أن نعين حدوداً لقوتنا . ولذا فإن قضية الأمن هي موضع لجدل شرعى عندنا » . (٥٠)

واستطراداً على ذلك ولأجل بناء نظرية أمنية قومية أكثر ارتباطاً بالجانب العملي والعسكري وبخلفياته الاستراتيجية ، يحاول الاستراتيجي الإسرائيلي اللواء يهو شافاط هركابى الإجابة على السؤال التالى « لماذا مال التفكير الاستراتيجي إلى الاهتمام بالحرب أكثر من اهتمامه بالسياسة الأمنية » (٥١) وللإجابة على هذا السؤال يحاول هركابى بناء تنظير أمنى إسرائيلي للثمانينات فيرى أنه « ليس هناك تخطيط للنظرية الأمنية بل إنها تسبق التخطيط وتكون أساساً له ، فليس عمل الأركان هو الذى يؤدي إلى النظرية بل إن النظرية هي التى توجه عمل الأركان . ولذلك فإن القادة هم الذين يتوجب عليهم صياغتها كتخليص لفهمهم التاريخي وما يتمتعون به من رؤية . وأما عملية التخطيط فقد تأتي بعدئذ من أجل اختبار صحة النظرية وتوضيح مفاهيمها واستخلاص التفاصيل منها ، وفي الأساس يتم التوصل إليها عن طريق الاستدلال لا عن طريق الاستقراء » (٢٥) ثم يضيف « لا ينبغي أن تكون السياسة الأمنية قائمة على المراهنة . فعلى المستوى الاستراتيجي تسود الاستمرارية وليس الانقطاع . وعلى مستوى النظرية الأمنية لا ينبغي توقيع شيك من دون رصيد ، فالأمد الزمني كفيلا بكشف السياسة التى لا غطاء لها ، وحتى لو انقضت سنوات ، سيبقى الضرر بالفائدة المركبة كما اتضح لإيطاليا التى انتهجت في عهد ماسولينى سياسة أمنية تفوق قدراتها بكثير وانتهت إلى كارثة قومية » (٥٢)

وحول مسألة الأمن الإسرائيلي بشكل عام وفي فترة الثمانينات بشكل خاص يرى الاستراتيجي الإسرائيلي يحزقئيل درور أن هناك ضرورات ماسة على مستوى التفكير والتخطيط ينبغي توفرها على الدوام فإن « مشكلات أمن إسرائيل تمر في حالات من كسر الاستمرارية والانعطافات ، وهي حالات تتطلب إبداعاً كبيراً في جميع مستويات التفكير والاستعداد الأمني » (٥٤)

ويقول حول فترة الثمانينات والمتطلبات الأمنية الإسرائيلية خلالها « إن الحقبة الزمنية المذكورة هي فترة معقولة تماماً لوضع تخطيط أمني عصري ، لكن ينبغي الإشارة إلى مقتضيات استعداد لأمن قومي صحيح يتطلب رؤية لمدى أكثر بعداً ، وتقتضي توضيحاً لاتجاهات محتملة أو أزمات رئيسية ممكنة الوقوع . (٥٥)

إن أخطر ما تتضمنه نظرية البروفسور درور هو تحديده لعوامل التجديد والإبداع المطلوب إضافتهما إلى نظرية الأمن القومي الإسرائيلي خلال الثمانينات وهذه الضرورات الإبداعية ذات بعدين : سياسى وعسكرى ، نورد فيما يلي النص الكامل لفقراتها الخمس الأولى حسبما وردت في دراسته المعنونة « استعداد فكرى لمستقبل الأمن » * فيقول درور إن التجديد والإبداع المطلوبين في نظرية استراتيجية أمن إسرائيل في الثمانينات تتمثل بما يلي :

١ - تعزيز مسار السلام عبر استخدام حذر مدروس للتهديد الأمني ، مثل التلويح لانظمة الأردن والسعودية والفلسطينيين بالنتائج التي قد تسفر عنها حرب جديدة ، إذا ما نشبت نتيجة إحباطهم للسلام .

٢ - توسيع مفهوم « كثافة الأمن الإسرائيلية » عبر تحديد « خطوط حمراء » مثل : تهديدات مبهمة ، أو مناطق أمنية وراء الحدود الإسرائيلية (لا يقبل فيها حشد قوات تتجاوز حداً معيناً) ، تعاون استراتيجي مع الولايات المتحدة ومصر وغير ذلك .

٣ - ردع على مستوى رفيع من الإحكام والمصادقية يتضمن « الاعتماد على البعد النفسى الحضارى - السياسى بالإضافة إلى قاعدته العسكرية ، بناء صورة واعية وصريحة لإسرائيل في نظر الآخرين تشمل صورة الميل إلى ردة فعل زائدة ضد العدوان ، واستعداد للتحويل إلى دولة

* سوف نورد الترجمة كما جاءت في كتاب « أمن إسرائيل في الثمانينات بغض النظر من تصحيح أسلوبها العربى ذى البنية اللغوية التركيبية . فمستوى الصياغة تقع على عاتق المترجم .

«مجنونة» فى وجه تهديد متطرف ، وإظهار قدرة العمل الانتقامى فى العمق بواسطة ترقب فرص للقيام بعمليات استعراضية ، وماشابه ذلك .

٤ - تطوير قدرة ونظرية قتالية وضربة محدودة ، متدرجة ومسيطر عليها ، تتضمن وسائل قتالية غير فتاكة . وقد تشكل هذه الضربة رداً على تهديد أو هجوم شبه تقليديين وإتاحة المجال لعملية تدخل مبكرة فى نقاط معينة توجه ضد أنواع خاصة من التهديد ، حتى فى الأوقات التى توجد فيها قيود سياسية وداخلية .

٥ - رفض دخول الأسلحة النووية إلى الشرق الأوسط فى إطار سياسة إسرائيل المعلنة فى هذا الشأن ، ولكن فى الوقت ذاته إجراء استعدادات لاحتمال تحويل الشرق الأوسط إلى منطقة نووية جزئياً بما فى ذلك ، على سبيل المثال ، تعاون مع دول عربية « عاقلة » * تجمعها بإسرائيل مصلحة مشتركة واضحة لمنع تهديدات متطرفة غير عقلانية .

٦ - فهم الحرب ضمن سياق سياسى واسع ، من خلال استعداد لمواجهة احتمال نشوبها والتخطيط لها وإدارتها بأشكال موجهة لتحقيق أهداف سياسية لتحسين « كثافة الأمن الإسرائيلى » بعد الحرب علاوة على الانتصار فى ساحة القتال ، إن النظرة إلى القوة العسكرية والحرب ، ضمن سياق سياسى واسع ، ربما تكون التجديد الحيوى الأهم لإسرائيل على مستوى الاستراتيجية العليا» (٥٦)

وينتقل إسحاق رابين من الحد التنظيرى السياسى العسكرى للأمن القومى إلى المفهوم العام للأمن ، ومن ثم التأكيد على العامل العسكرى كركن أساسى فى نظرية الأمن الإسرائيلى . (٥٧)

لقد قامت الطبقة العسكرية الإسرائيلية ، وخاصة كوادرها الاستراتيجية ، باتخاذ كل الاحتياطات النظرية والعملية من أجل تطوير الصنوف العسكرية وتأكيد تكاملها العضوى وزيادة فعاليتها بشكل متوازن للتطورات التقنية والاستراتيجية الحاصلة فى سنوات الثمانينات . فعلى مستوى السلاح الجوى - البرى وفعالياته القتالية قامت القيادة الإسرائيلية بإضافة مهمات استراتيجية عسكرية جديدة على المهمات المتبعة منذ العام ١٩٥٠ لهذا السلاح فى فترة الثمانينات

* القوسان مضافان من قبلنا وليس فى النص الاصلى .

غدت المهمات العملياتية لسلح الجؤ تتركز فى :

- ١- تدمير البنية التحتية للدول المعادية (أى الدول العربية) وفقاً لأهداف القتال وتخطيطه .
- ٢- جمع وإعداد المعلومات الاستخباراتية الجوية الكافية والضرورية لتنفيذ المهام الأساسية لسلح الجؤ والحصول على معلومات جوية لمقتضيات المهام الأساسية لأسلحة الجيش الإسرائيلى الأخرى والأركان العامة والسلطة السياسية . (٥٨)

والكى يتمكّن سلح المشاة الإسرائيلى من مواجهة تحديات ميدان القتال العصرى خلال فترة الثمانينات أقر الاستراتيجيون الإسرائيليون خطة عمل لتطوير الوسائل القتالية لجندى المشاة وتطوير قدرة السلح المضاد للدروع وناقلة الجنود المدرعة ومواصلة تطوير وسائل الرؤية الليلية. (٥٩)

وبالأسلوب نفسه أقرت إسرائيل خططاً عسكرية جديدة متطورة لتصعيد كفاءة سلح المدفعية (٦٠) ، وتطوير دباباتها وتصعيد الكفاءة التقنية لسلح الدروع الإسرائيلى (٦١) والقوة البحرية العسكرية. (٦٢)

وإضافة إلى تطوير القدرة التقنية وخبرات الاستخدام لصنوف الأسلحة فى الجيش الإسرائيلى انبثق اتجاه عام فى الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلىة يعتبر الأكثر شمولاً ويخص خطة التعبئة العامة وفق منظور دقيق لتحريك القطعات العسكرية والتنسيق بينها وبين وسائلها القتالية داخل ميدان المعركة ضمن تحديد زمانى - مكانى دقيق فى استخدام القطعات وجعلها أكثر كفاءة - بفضل تنظيمها القتالى - على ضرب الخصم وسحق قواته . فقد طرأت تغييرات جوهرية على خطط التعبئة الإسرائيلىة فى بداية الثمانينات ووضعت خططاً عصرية متماشية مع التطور التقنى الاستراتيجى السريع الحاصل فى العالم (٦٣) ، وكذلك قامت إسرائيل بوضع خطة وتنسيق جديدين فيما يخص الحرب والدفاع عن الحدود القومية أو فيما يخص الاحتياجات الأمنية الداخلية. (٦٤)

كما أن القيادة العسكرية الإسرائيلىة قد وضعت برنامجاً فى خططها الأمنية الجديدة يخص رفع الروح المعنوية والقتالية لدى أفراد قواتها المسلحة وذلك عن طريق تدريب متقدم يتلاءم مع المتطلبات العسكرية المستجدة (٦٥) ، كما وضع برنامج جديد للتوعية بالواجب العسكرى وأخلق أقصى درجة ممكنة من التعبئة البشرية فى حالة نشوب حرب مع الدول العربية . على أن هذه التوعية العسكرية لا تخل بالشروط الديمقراطية التى يعيشها المجتمع الإسرائيلى ، فإن المجتمع الإسرائيلى على الرغم من بنيته العسكرية ، بما أن أغلبية الجيش مكونة من الاحتياط والمجندين ، فإنه مجتمع ديمقراطى

لأن النظام السياسى فيه هو نظام دستورى برلمانى ديمقراطى ، وأن التربية العسكرية داخل هذا المجتمع تغدو ضرورة واجبة بما أن إسرائيل فى حالة حرب دائمة .

لكن السؤال المطروح هو كيف تكون هذه التربية العسكرية كثيفة وقوية من غير أن تعسكر الحياة السياسية وتنعكس على طبيعة ديمقراطية النظام ؟ من أجل هذا ، قام الاستراتيجيون الإسرائيليون بوضع خطة لهذا الغرض لسنوات الثمانينات بهدف حفظ التوازن الأمنى .(٦٦)

كما اهتمت القيادة الإسرائيلية بقضية أساسية ، تعتبر عنصراً جوهرياً من عناصر الأمن القومى ، هى العمق الاستراتيجى . فبما أن الدول العربية أصبحت ذات قوة ضاربة أكثر قدرة عما كانت عليه فى الستينات وحتى أواسط السبعينات ، فإن قضية العمق الاستراتيجى باتت ملحة وبحاجة إلى حل ناجح ، بما أن السعى الإسرائيلى لاحتلال أراضٍ إضافية قد توقف منذ حرب الأيام الستة ١٩٦٧ ، فإن القيادة الإسرائيلية قد عينت بدائل أخرى لهذا الغرض خلال سنوات الثمانينات ، وذلك عن طريق تصعيد القدرة التقنية لوسائل الإنذار الاستخبارى وتصعيد قدرة وسائل الدفاع الإقليمى وشروطها الأساسية مثل التحصين المتقدم والمرتبط بأجهزة مراقبة وأسلحة ووسائل الدفاع الإقليمى وشروطها الأساسية مثل التحصين المتقدم والمرتبط بأجهزة مراقبة وأسلحة تصد فعالة ومتقدمة ، إضافة إلى تطبيق النظرية السابقة فى الدفاع وهى نظرية الهجوم الاستباقى.(٦٧)

هذا من ناحية وهناك ناحية إضافية ، استجدها القيادة الإسرائيلية واعتمدت عليها خلال سنوات الثمانينات ، هى تقوية المستعمرات واستخدامها استخداماً أمنياً من جهة واستراتيجياً عسكرياً من جهة أخرى لتعويض افتقار إسرائيل إلى عمق استراتيجى كافٍ .(٦٨)

وعلاوة على هذه الاحترازاات المتعلقة بنشوب حرب نظامية فإن إسرائيل قد اتخذت احتياطاتها الأمنية ضد العمليات الفدائية التى تقوم بشن هجمات متفرقة على حدودها أو بأعمال تخريبية للمنشآت الإسرائيلية فى الداخل أو فى الخارج ، ووضعت برنامجاً أمنياً للثمانينات فيما يخص العمل الفدائى .(٦٩)

إن كل هذه الخطط والبرامج العسكرية ، التى تخص حماية أمن إسرائيل القومى فى فترة الثمانينات هى خطط تتعلق بالحرب التقليدية سواء المحدودة منها أو المتسعة ، وهى خطط و إجراءات لا تترك شاردة أو واردة إلا وتخضعها للتخطيط والبرمجة وتصعيد قدرتها التقنية والدفاعية أو الهجومية بما يتلام ووظيفتها الأساسية فى مجال صيانة – الأمن القومى لإسرائيل ، هذا إضافة إلى الاحتياط الأكثر قوة وفعالية ، أى الاحتياط النووى كعامل أساسى للردع وواجهة أولية

تمنع حتى قيام الحرب التقليدية المحدودة خشية أن تتحول إلى حرب أكثر سعة فيدخل فيها السلاح النووي داخل مجال الممارسة .

إن هذه الخطة الأمنية الإسرائيلية الشاملة والمحكمة تثير لدينا ، نحن العرب ، تساؤلاً هاماً هو : هل الدول العربية عامة ودول المواجهة خاصة تمتلك خططاً أمنية بهذا المستوى من الدقة والشمولية ؟ إن نظرية الأمن الإسرائيلية تأخذ بعين الاعتبار كل الجوانب الوطنية الذاتية أو تلك التي تتعلق بالخصم (أى الدول العربية) ، وإن هذه النظرية على صعيد حساباتها الخاصة الذاتية لا تغرق داخل أحلام وأيديولوجيات ترتفع عن مستوى الأرقام والحسابات الواقعية الدقيقة ، بل تحاول أن تدرك تماماً مدى إمكانياتها ونقاط ضعفها أو مركز قوتها ثم نقاط ضعف وقوة العدو . فهل توجد فى المقابل عند الدول العربية هذه المقاييس الموضوعية الدقيقة لأجل بناء نظرية أمن قومية عصرية متلائمة مع متطلبات العصر ومتغيراته السريعة فى المجال التقنى أو متغيراته الأقل سرعة فى موازينه السياسية. هل تتوفر لدى العرب القدرة التنظيرية لإدراك مواطن القوة والضعف فى إمكانياتهم الذاتية وتقدير مصادر وإمكانيات القوة عند العدو ؟ لكى يؤسسوا على هذا الإدراك قوة مسلحة وروحاً معنوية لا تغرق فى الأوهام ، بقدر ما تأخذ صلابتها من دقة معرفتها بالواقع وإطلاق المسميات الحقيقية على الأشياء والأرقام . إن المعنوية وروح التضحية عند العرب لا تكفيان أبداً بما أن للعدو مثلاً، علاوة على عقلانية فى تقدير نفسه وتقدير المقابل ، وحول هذا الموضوع يحاول يسرائيل تال أن يعقلن هذه العاطفة الوطنية ليس بروح حماس إنشائى ولغوى بل وفق أسلوب من الاشتراطات المقارنة والمرتبطة مع الخط الاستراتيجى الأمنى العام . ولعل أفضل ما يمكن أن نختتم به هذه الدراسة هى كلمات يسرائيل تال حول هذا الموضوع حيث يقول « إن قوة الحافز تتناسب طردياً مع مدى حيوية المصلحة الفردية والقومية . وإن مقدار حيوية المصلحة هو الذى يحدد مستوى الثمن الذى يكون الفرد والمجموع على استعداد لدفعه من أجل المحافظة على هذه المصلحة . وثمة من يدعو بيننا إلى استخدام غير محدود للقوة من أجل خدمة أهداف قومية طموحة وبعيدة المدى . وهم يدعون جيلنا إلى دفع أقصى ، وكل ثمن ممكن من أجل إحراز الأهداف الطموحة فى سبيل « الأجيال القادمة » ، وأحياناً يقومون بإجراء مقارنات إحصائية بين عدد الخسائر فى حروبنا وعدد المصابين بحوادث الطرق ، أو بين عدد شهدائنا وعدد شهداء فنلندا . وإن هذه النظرة ليست فى صلب الموضوع عندما نبحث فى الحافز الذى هو قضية ذاتية أساساً . فالمسألة ليست حساباً إحصائياً بارداً ، بل هى غريزة صحية وأساسية ترشد البشر فى اتخاذ قراراتهم بشأن ما هو جدير بالتضحية بحياتهم أو حياة أبنائهم أو ما هو غير جدير بذلك . إن

البشر مستعدون لدفع الثمن فداحة من أجل صميم وجودهم المادى والقومى ، لكنهم غير مستعدين لدفع مقابل مرتفع كثمن للأخطاء والتقصيرات أو كثمن لسياسة غير مقبولة من قبلهم .
إن الحافز يتناسب طردياً مع مدى الموافقة الشاملة على الأهداف وأما الحافز الأعلى فهو ذلك الذى تحكمه أهداف تتعلق بالوجود ، حيث يشعر البشر بأنه من الجائز تعريض الحياة للخطر ، بل حتى التضحية بها ، من أجل الدفاع عن الحياة والحرية . وما دمنا نحارب من أجل هذه الأهداف فهناك فرصة كبيرة لأن يبقى مستوى حافزنا أعلى بما لا يقاس من حافز أعدائنا « (٧٠) » .

ملاحظات:

- (١) د . حامد ربيع : « نظرية الأمن القومى العربى والتطورات المعاصرة للتعامل الدولى فى الشرق الأوسط » دار الموقف العربى ، القاهرة ١٩٨٤ ص ٣٢ .
- (٢) حسين آغا ، أحمد سالم الخالدى ، قاسم جعفر : « إسرائيل ، العقيدة العسكرية وشؤون التسليح » سلسلة الدراسات الاستراتيجية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ١٩٨٢ ص ٩
- (٣) المرجع السابق ، ص ١٠
- (٤) المرجع السابق ، ص ١٠
- (٥) د . هيثم كيلاى : « الجديد فى المذهب العسكرى الإسرائيلى » منشورات مجلة الفكر العسكرى ، دمشق ١٩٨١ ، ص ١٢
- (٦) « إسرائيل ، العقيدة العسكرية وشؤون التسليح » ص ١٠-١١
- (٧) المصدر السابق ، ص ١١
- (٨) المصدر السابق ص ١١-١٢
- (٩) المرجع السابق ، ص ١٢
- (١٠) المرجع السابق . ص ١٢-١٣
- (١١) حسين آغا ، أحمد سامح الخالدى ، قاسم جعفر : « القوة العسكرية الإسرائيلية » ، سلسلة الدراسات الاستراتيجية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٢ . ص ٩
- (١٢) المرجع السابق ، ص ٩-١٠
- (١٣) المرجع السابق ، ص ١٠
- (١٤) انظر « النقاش حول تخفيض ميزانية الدفاع الإسرائيلية » فى « القوة العسكرية الإسرائيلية » ص ١٧ - ٢٧ .
- (١٥) « إسرائيل ، العقيدة العسكرية وشؤون التسليح » ص ٢٩
- (١٦) المرجع نفسه ص ٣٣ .
- (١٧) المرجع نفسه ص ٤٠ .
- (١٨) يسرائيل طال : « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٨١ ، ص ٧١ .

- (١٩) حسين أغا ، أحمد سامح القاسمي ، قاسم جعفر : « بعض مسائل الصراع العربي الإسرائيلي » سلسلة الدراسات الاستراتيجية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، ص ١٠٠ .
- (٢٠) المرجع السابق : ص ١٠-١١
- (٢١) حسين أغا ، أحمد سامح الخالدي ، قاسم جعفر : « قضايا فلسطينية » ، سلسلة الأبحاث الاستراتيجية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، ص ٤٩
- (٢٢) محمود عزمي : « نظرية الأمن القومي الإسرائيلي ، الجذور والتطبيقات الأولى ١٩٤٨ - ١٩٥٦ » مجلة « الفكر الاستراتيجي العربي » العدد الأول - تموز - يوليو ١٩٨١ ص ١٣٥ .
- (23) gean _ paul charnay : " thecnique et geosociologie ' la guerre du rif la nucleaire en orient " . ed " anthropos " paris 1984, p175
- (٢٤) المرجع السابق . ص ١٧٨-١٧٩
- (٢٥) المرجع السابق . ص ١٨٠ .
- (٢٦) قاسم محمد جعفر : « ميزان القوى العسكري في منطقة الشرق الأوسط ١٩٨٤ - ١٩٨٥ » المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٥ ، ص ٢٠-٢١ .
- (٢٧) المرجع السابق . ص ٣٤-٣٥ .
- (٢٨) المرجع السابق . ص ٤١
- (٢٩) المرجع السابق ص ١٥٢-١٥٨
- (٣٠) المرجع السابق ص ١٦٨
- (٣١) المرجع السابق : ص ١٨٢-١٨٣ .
- (٣٢) المرجع السابق : ص ١٨٨-١٨٩ .
- (٣٣) المرجع السابق ص ٢٠٠-٢٠١
- (٣٤) القوة العسكرية الإسرائيلية . ص ٣١ .
- (٣٥) المرجع السابق . ص ٣٢
- (٣٦) المرجع السابق . ص ٣٣ .
- (٣٧) المرجع السابق . ص ٣٤
- (٣٨) المرجع السابق ص ٣٨ .

- 39 - JEAB-MARIE ARNAUD: "La charnière Arabe de L'Afrique Stratégique. premier trimestre. 1982. p 15.
- 40 - JEAN-PAL PIGASES: "La stratégie économique dans le conflit Israëlo-arabe". Stratégie. No. 13 juillet-septembre 1976. p 80.
- 41- MICHEL GARDER: "La stratégie totale soviétique et la crise du moyen-orient". strategie No 13. Juillet-Septembre. p 49.
- 42- Général BEAUFRE: "Les enseignements opérationnels de la guerre Israëlo-arabe". Stratégie. No 37. juillet - septembre - 1967 . p 35
- 43- General Beaufre : " La quatrieme guerre israelo - arabe " . Strategie . no 36 octobre - decembre 1973 . p 17 .
- 44- Général BEAUFRE: "Une guerre classique moderne. La guerre Israëlo-arabe". Stratégie No 13. Juillet-September 1967. pp 21-22.
- 45- TIME: "Black October: old enemies et war again". Time, 15 October 1973. p 6.
- 46- NEWSWEEK: "A war that broke the myths". Newsweek. 22 October 1973. p 10.

(٤٨) إسحاق رابين : « أمن إسرائيل في الثمانينات » بحث في كتاب « أمن إسرائيل في

الثمانينات » ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٦١ .

(٤٩) المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٥٠) إسرائيل تال « أمن إسرائيل في الثمانينات » ، ص ٧٠ .

(٥١) اللواء بهوشاف هركابي : « خواطر في نظرية الأمن القومي » في كتاب « الأمن

الاستراتيجي في الثمانينات » ، ص ٥٩ .

(٥٢) المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٥٣) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٥٤) البروفيسور يحزميل درور « استعداد فكري لمستقبل الأمن » في كتاب « أمن إسرائيل في

الثمانينات ، ص ٧٣

(٥٥) المرجع السابق ، ص ٧٣ .

- (٥٦) المرجع السابق ص ٧٥-٧٦ .
- (٥٧) إسحاق رابين : « مشكلات أمن إسرائيل فى الثمانينات » . فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١٥ - ٢٠
- (٥٨) اللواء بنيامين بيلو : « القتال الجوى - البرى » . فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١٢٣ - ١٢٤ .
- (٥٩) العميد متان فيلناتى : « سلاح المشاة فى مواجهة الثمانينات » . كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » . ص ١٣٠ .
- (٦٠) العميد أبراهام بار - دافيد « المدفعية فى المعركة الحديثة » كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١٣٢ - ١٣٦ .
- (٦١) العقيد شاؤول : « أجهزة ضبط النيران فى الدبابات » . « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١٦٦ - ١٦٧ .
- (٦٢) فريق من قيادة سلاح البحرية : « سلاح البحرية عبر تاريخه ونظرة إلى المستقبل » « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١١٦ - ١١٨ .
- (٦٣) العقيد حاييم : « اللوجستية فى الجيش الإسرائيلى فى الثمانينات » . « أمن إسرائيل فى الثمانينات » . ص ١٤٢ - ١٤٣ .
- (٦٤) العميد يستحاق زيد : « الدفاع الإقليمى والدفاع المدنى فى حرب الغد » ، « أمن إسرائيل فى الثمانينات » . ص ١٤٨ - ١٤٩ .
- (٦٥) العميد تيبى : « القوة الكامنة فى الطاقة البشرية - نظرة أخرى » ، « أمن إسرائيل فى الثمانينات » . ص ١٧٤ - ١٧٥ .
- (٦٦) العميد أبراهام أفى زوهر : « التربية العسكرية فى مجتمع ديمقراطى فى الثمانينات » أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١٧٧ - ١٨٧ .
- (٦٧) اللواء أهرون ياريف : « العمق الاستراتيجى ، وجهة نظر إسرائيلية » فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » . ص ٢٦ - ٢٨ .
- (٦٨) المقدم الدكتور ألحانان آرون « دور الاستيطان وأهدافه الأمنية » . فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .
- (٦٩) اللواء حاييم هير تسوغ : « فى ظل الإرهاب الدولى » فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٧٠) يسرائيل تال « أمن إسرائيل في الثمانينات » في كتاب « أمن إسرائيل في الثمانينات » .
ص ٧٠ - ٧١ .

الفصل الرابع

(من غزو الفضاء إلى
« حرب النجوم ») *

* كُتِبَت للنشر في « الموسوعة السياسية » تحت مادة « فضاء » المجلد الرابع المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ، بيروت

١ - غزو الفضاء .

لم يكن تفكير الإنسان فى الفضاء وغموضه فى البداية سوى حلم تجسد بشكل قوى ، لأول مرة ، فى القرن السابع عشر ضمن أعمال فنية وأدبية مثل رواية (تاريخ هزلى لدول وإمبراطوريات القمر) ١٦٥٦ لسيرانو برجرانك ،

histoire comique des etats et empires de la lune cyrano Bergerac
وغيرها من الآثار الأدبية التى توالى خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، وكانت العبارة المستخدمة داخل هذا النمط من الأدب هى « السفر داخل الفضاء » .

pace إلا فى القرن العشرين وبشكل نادر داخل قصص وروايات الخيال العلمى (S . F = Science _ fiction) ، التى بدأت بالتطور لأول مرة مع كتابات الأديب البريطانى هـ . ج . ويلز (H . g wells . مثل روايته (حرب العوالم) 1897 the war of warlds) الرجال الأرائل على سطح القمر) ١٩٠١ ، وظهر هذا التعبير بعد ذلك فى روايات الخيال العلمى اللاحقة والمساعدة على ظهور الموجة نفسها فى السينما * .

لم يتحول هذا الخيال الأدبى إلى محاولة واقعية إلا عام ١٩٢٦ على يد صبى ألمانى فى الرابعة عشرة من عمره هو و يرنر فون براون Wernher von Braun الذى غدا من أكبر علماء الفضاء فيما بعد .

ولد براون فى مدينة فيرستس Wirsitz الألمانية عام ١٩١٢ ، وأظهر تعلقاً بصنع الآلات

* إن كل المعلومات التى احتوتها هذه الدراسة مستقاة من المراجع المثبتة فى نهاية هذا الفصل

الطائرة والمقاومة للجاذبية الأرضية ، وطور أبحاثه عبر دراسة أكاديمية وعلمية عميقة وتجريبية فتوصل عام ١٩٣٠ إلى إطلاق صاروخ ميراك - ٢ Mirak-2 الذى حلق إلى ارتفاع ٣٥٠ متراً قبل سقوطه . وبعد أبحاث وتحسينات متواصلة للمحاولة الأولى قام بإطلاق صاروخ حلق إلى ارتفاع ٩٠ كيلو متراً ثم سقط على بعد ٢٠٠ كيلو متراً من نقطة انطلاقه . ثم حققت أبحاثه الفضائية نجاحاً كبيراً عام ١٩٤٤ عند صنعه للصاروخ ف - ٢ الذى استخدم عسكرياً من قبل الألمان وأطلق باتجاه باريس قبل سقوط الحكم النازى فى ألمانيا واستيلاء القوات الأمريكية على المشاريع العلمية للصواريخ وصناعتها المتقدمة فى ألمانيا ، فى ذلك الوقت ، تحت إشراف براون . طور براون أبحاثه الفضائية فى الولايات المتحدة بعد ذلك ، حيث حقق أحد أحلامه عام ١٩٥٤ عندما أطلق الصاروخ ريد ستون Redston المكون من عدة طوابق والذى يحمل سفينة فضائية يطلقها فى الفضاء الخارجى بعد فترة من إقلاعه من سطح الأرض . لكن الولايات المتحدة أوقفت بحوثها الفضائية عام ١٩٥٢ ، ولم تعاودها إلا عام ١٩٦١ حيث استعانت مرة أخرى بخبرة براون الذى استمر فى تطوير بحوثه الفضائية حتى نجح عام ١٩٦٩ بتحقيق حلمه الكبير بإنزال أول سان على سطح القمر فى المركبة الفضائية أبولو - ١١ « Apollo-11

سباق غزو الفضاء .

على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت أول دولة استطاعت أن تنزل إنساناً على سطح القمر عام ١٩٦٩ ، غير أن الاتحاد السوفيتى قد سبقها فى عملية غزو الفضاء ، وكان هذا السبق الحافز الأساسى للولايات المتحدة على المضى فى تطوير أبحاثها الفضائية . فقد أمسى غزو الفضاء أو إنزال إنسان على سطح القمر واقعة ذات بعد سياسى يعزز المكانة الأيديولوجية للدولة المتقدمة إزاء الدولة الأخرى داخل لعبة الصراع العالمى بين القوتين العظميين ، قبل أن يغدو الفضاء مجالاً رابعاً للاستخدام العسكرى .

يعتبر الاتحاد السوفيتى من الناحية الزمنية أول من بدأ بالغزو الفعلى للفضاء من أجل تحقيق

كشوفات علمية فى المجال السلمى ، ثم تلتها الولايات المتحدة ثم بلدان أوربا الغربية فبعض البلدان الاسيوية .

الاتحاد السوفيتى .

قام بأول غزو للفضاء فى ٢٤ من تشرين الثانى (أكتوبر) عام ١٩٥٧ فأرسل أول جرم فضائى هو القمر الاصطناعى سبوتنيك - ١ Spoutnik - 1 . ثم أرسل إلى القمر سفينة فحص علمى هى لونيك - ٢ Lunik - 2 التى تحطمت على سطح القمر فى أيلول (سبتمبر) ١٩٥٩ . ثم حقق فتحاً كبيراً فى مجال الغزو الفضائى عندما أرسل أول إنسان إلى الفضاء الخارجى هو يورى غاغارين Youri Gagarine فى ١٢ من نيسان (أبريل) ١٩٦١ . قام غاغارين بالطيران فى الفضاء لمدة ساعة وثمانية وأربعين دقيقة وعاد إلى الأرض سالماً . وفى عام ١٩٦٣ أرسل الاتحاد السوفيتى أول امرأة إلى الفضاء هى رائدة الفضاء فالنتينا تيريكوفا Valentina Terechova على ظهر المركبة الفضائية فوستوك - ٦ Vostok - 6 . وفى ٣١ من كانون الثانى (يناير) ١٩٦٦ حقق الفضائيون السوفييت أول هبوط ناجح لمركبة فضائية على سطح القمر هى لونا - ٩ Luna-9.

وفى العام نفسه لم يكتف السوفييت بمحاولة غزو القمر فقط بل قاموا بمحاولات فضائية لاستكشاف كواكب أخرى مثل الزهرة التى أرسلوا باتجاهها المركبة فينوس - ٣ Venus-3 التى تحطمت على سطحها ، وكانت فينوس - ٣ venus-3 أول مركبة فضائية تمس سطح هذا الكوكب . فعاودوا المحاولة باتجاه الزهرة مرة أخرى عام ١٩٦٧ فنجحوا فى إنزال المركبة الفضائية فينوس - ٤ venus-4 على سطح هذا الكوكب .

قام السوفييت من جانب آخر بتطوير الصواريخ الفضائية العملاقة للذهاب إلى القمر ، فأطلقوا أول صاروخ ضخيم ساتورن - ٥ Saturne-5 فى كانون الثانى (نوفمبر) ١٩٦٧ . وفى ١٧ كانون ١ . وفى ١٧ من كانون الثانى (يناير) ١٩٦٩ قام رواد فضاء الصاروخين سويوز - ٤ وسويوز

Soyouz-4 Soyouz-5 بتأسيس وبناء أول محطة فضائية تجريبية . ومنذ ذلك العام تقدمت الأبحاث الفضائية السوفياتية كثيراً فى مجال إنشاء المحطات وإطلاق الصواريخ الضخمة باتجاه القمر أو كواكب أخرى . وفى عام ١٩٧٥ قام الاتحاد السوفياتى بأول طيران مشترك سوفياتى - أمريكى ضمن برنامج تطوير التعاون الفضائى بين البلدين فى المجال السلمى ، هذا قبل أن تكتشف المساعى الفضائية العسكرية للبلدين التى ابتدأت بشكل خفى منذ سنوات الستينات عن طريق الرصد والمراقبة ثم تطورت بعد ذلك على انفراد داخل لعبة التوازن والتفوق بين القوتين العظميتين .

الولايات المتحدة الأمريكية .

لم تعر الولايات المتحدة الأمريكية اهتماماً للأبحاث الفضائية فى بداية الأمر لتكلفتها الباهظة فأوقفت أنشطتها العلمية فى المجال الفضائى منذ عام ١٩٥٢ . غير أن بروز التطور الذى أحرزه السوفيات فى هذا المجال بعد إطلاق المركبة سبوتنيك - ١ ١٩٥٧ ، وإرسال أول إنسان إلى الفضاء عام ١٩٦١ ، دفع الولايات المتحدة لأن تأخذ السبق السوفياتى بنظر الاعتبار ضمن بعدين : الأول سياسى يتعلق بصورة التفوق التكنولوجى لكل دولة أمام العالم ، والثانى عسكرى بهدف تحاشى إطلاق حرية السوفيات داخل الفضاء خشية استخدامهم العسكرى لهذا الميدان . فقامت الولايات المتحدة بإنشاء (الإدارة القومية للفضاء والطيران) Nasa

Nasa = National Aeronautics and Space Administration

فى الأول من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٨ وهى مؤسسة مدنية أو كل إليها الرئيس أيزنهاور مهمة الأبحاث الفضائية . وكانت المبادرة الفضائية الأمريكية حاسمة بعد إرسال السوفيات لأول إنسان إلى الفضاء (نيسان ١٩٦١) ، حيث ألقى الرئيس الأمريكى جون كندى خطابه التاريخى فى ٢٥ من أيار ١٩٦١ معلناً برنامجاً فضائياً ضخماً ، يهدف إلى إنزال أول إنسان على القمر قبل نهاية السنوات العشر التالية ، ومعلناً بداية رحلات الصاروخ الأمريكى أبولو إلى القمر . ووافق الكونجرس على تخصيص ميزانية ضخمة لمشروع أبولو بلغت ٢٦ مليار دولار على أن تصرف

الحدود القصوى منها بين عامين ١٩٦٤ - ١٩٦٨ ، وقام ليندون چونسون نائب الرئيس كندى آنذاك بتنظيم مجموعة متتالية من الاجتماعات فى البيت الأبيض مع كبار الصناعيين الأميركيين وأكبر الشركات الصناعية فى الولايات المتحدة لتهيئة قدرة تكنولوجية هائلة من أجل إنجاح المشروع . وكانت هذه الاجتماعات تحت إشراف ورنر فون براون الذى استعاد الأميركيان استعانتهم بخبرته الكبيرة فى علم الفضاء . ومع أن المشروع الفضائى الأمريكى يبدو علمياً وسلمياً فقط إلا أن دوافعه الجوهرية كانت سياسية فقد صرح چونسون : إن الولايات المتحدة لا تستطيع الاستمرار فى كونها دولة ثانية بعد الاتحاد السوفياتى فى ميدان غزو الفضاء .

استهلّت الولايات المتحدة مشروعها الفضائى بإرسال مركبة فضائية تدور حول الأرض تحمل أول رائد فضاء أمريكى هو چون غلين John Glenn ثم بدأ غزوهم مقترباً بعمليات كشف فضائية واسعة لكواكب أخرى مثل المريخ الذى وصلتته المركبة الفضائية مارينر - 4 Mariner فى تموز (يوليو) ١٩٦٥ . ثم قامت المركبة أبولو - 8 Apollo 8 بتحقيق أول عملية دوران حول القمر فى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٨ .

وفى ٢١ من تموز ١٩٦٩ قام الأميركيان بأضخم عمل فضائى فى تاريخ الإنسانية بإنزالهم أول إنسان على سطح القمر هو رائد الفضاء الأمريكى نيل أرمسترونج Neil Armstrong رئيس البعثة الفضائية لمركبة أبولو - ١١ .

فى شهر آيار ١٩٧٣ باشرت الولايات المتحدة إنشاء أول محطة مدارية هى سكيلاب وتوصلوا إلى تصليح العطل الفنى الذى أصابها فى الشهر نفسه (أول عمل تصليحى ألى ناجح فى الفضاء الخارجى) . وفى العام نفسه توقف مشروع الصاروخ أبولو الذى ابتدأ عام ١٩٦٢ وحقق نجاحات كبيرة وبدله صاروخ متطور آخر هو صاروخ فيكنغ - 1 Viking الذى حقق أول هبوط على سطح المريخ وأجرى عدة اختبارات جيولوجية لأرضه كان نتيجتها أن الحياة محتملة فوق سطح هذا الكوكب .

فى آب (أغسطس) ١٩٧٧ قام الفضائيون الأميركيان بإطلاق مركبة بحث مختبرى علمى هى فوياجر - 2 Voyager باتجاه الكوكب جوبيتر وفى آذار (مارس) ١٩٧٩ بدأت فوياجر

بتصوير الكوكب وإرسال صورة إلى الأرض .

بعد هذا التطور المتصاعد في الاكتشافات والغزو الفضائي وبناء المحطات المدارية ، أصبح من الممكن تطوير هذه الأبحاث من أجل خدمة الاستراتيجية العسكرية الأمريكية وتحديد نقاط للمراقبة والرصد الفضائي لخدمة الأغراض العسكرية .

على الرغم من السبق الذي حققته الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتي ، في غزو القمر إلا أن الاتحاد السوفياتي يعتبر الأكثر تفوقاً في مجال الغزو والتكنولوجيا الفضائية لأن عدد الأجرام التي أطلقها الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩٥٧ وحتى الآن (١٩٥٨) يبلغ ٢١٠٠ جرمًا بينما لا تتجاوز الأجرام الأميركية الألف جرم .

بلدان أوروبا الغربية .

لم تحقق البلدان الأوروبية الغربية أي تقدم في مجالات غزو الفضاء ، وقد أخفقت كل محاولاتها في ذلك بسبب عدم قدرتها على تخصيص ميزانيات ضخمة لهذا المشروع ، كما أن ارتباطها بحلف شمال الأطلسي يجعلها تعتمد على الانجازات الفضائية للولايات المتحدة في حالة قيام مشروعات عسكرية في الفضاء بالرغم من أن المعادلة الأخيرة لم تكن ناجحة بعد طرح مشروع «حرب النجوم» (راجع حرب الفضاء ، حرب النجوم) من قبل الرئيس ريغان . وبشكل عام كرست البلدان الأوروبية جهودها الفضائية في اتجاه تطوير وسائل الاتصال الهاتفية والراديو - تلفزيونية وإنشاء محطات البث والاستلام ، إن المحاولة الفضائية الأوروبية وإخفاقها تميزت ببضعة تواريخ هامة :

- في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦١ أنشأت فرنسا (المركز الوطني للدراسات الفضائية)

(C. N.E.S.C) الذي يباشر فعالياته

العملية في آذار (مارس) ١٩٦٢ ، العام الذي تأسست فيه (المنظمة الأوروبية لبناء وإطلاق الأجرام الفضائية) E . L . D . O .

- في حزيران (يونيو) ١٩٦٢ تأسست (المنظمة الأوروبية للأبحاث الفضائية) E S R O

Organisation Européenne de Recherches Spatiales

– فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٥ ، أطلقت فرنسا أول سفينة فضائية لها هى A _1 ثم حاولت مجموعة البلدان الأوروبية إطلاق صاروخ فضائى غير أن المشروع تعرض إلى سلسلة من الإخفاقات التامة فترك تماماً عام ١٩٧٣ ، وهو مشروع صاروخ أوروبا - 2 _Europaa . واعتباراً من عام ١٩٧٣ قامت البلدان الأوروبية بتوجيه جهودها الفضائية نحو ميدان المواصلات الراديو- تلفزيونية Telecommunication ، فقررت فى مؤتمرها الفضائى المنعقد فى تموز (يوليو) ١٩٧٣ بإنشاء الصاروخ الأوروبى أريان Ariane ليحل محل الأقمار الاصطناعية للمواصلات الفضائية . وفى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٤ قامت كل من فرنسا وألمانيا بالاشتراك فى إرسال قمر تجريبى للمواصلات هو سامفونى -1 _Samphonie فى نيسان (أبريل) ١٩٧٥ تأسست (الوكالة الفضائية الأوروبية) Agence E . S . A Spatiale Européenne التى حلت محل المؤسسات الفضائية الأوروبية السابقة مثل و E.S. E.L.D.o R. O

وفى شهر تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٧٧ ، أطلق القمر الاصطناعى الأوروبى ميتيوسات -1 _Meteosat ، أول قمر اصطناعى للأنواء الجوية وأخذ بإرسال الصور التى يلتقطها إلى الأرض لكنه تعطل عن العمل فى تشرين الثانى ١٩٧٩ . وفى كانون الأول من السنة نفسها أطلق الصاروخ الأوروبى أريان Ariane الذى لم يحقق الأغراض العلمية التى أطلق من أجلها . وبعد هذا لم تحقق البلدان الأوروبية الغربية أى إنجازات فضائية هامة فيما عدا إنجازاتها فى مجال المواصلات الراديو- تلفزيونية .

بلدان أخرى

إضافة إلى ما تقدم قامت ثلاث محاولات فضائية آسيوية فقد أطلقت اليابان أول قمر فضائى لها فى شهر شباط (فبراير) ١٩٧٠ . وأطلقت جمهورية الصين الشعبية قمرها الفضائى الأول فى

٢٤ من نيسان (أفريل) ١٩٧٠ . وأطلقت الهند قمرها الفضائي الأول روهيني Rohini فى ١٨ من تموز (يوليو) ١٩٨٠ .

أما مجموعة البلدان العربية فقد أطلقت قمرها الاصطناعى الأول عربسات فى ٨ من شباط (فبراير) ١٩٨٥ ، وهو قمر خاص بالاتصالات الهاتفية والراديو - تلفزيونية . وتم إنشاؤه برؤوس أموال عربية . اشتركت فى الإسهام بنسب مرتفعة كل من المملكة العربية السعودية ، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية الشعبية ، دولة الكويت ، الإمارات العربية المتحدة و الجمهورية العراقية . وقد صنع القمر بواسطة مساعدات تكنولوجية غربية ، ويحتوى عربسات على سبعة أقنية قمرية تعمل على الحزمة ٢,٥ / ٤ ميغا هيرتز وهى للبث التلفزيونى بين الدول العربية ويحتوى على قناة قمرية للبث التلفزيونى الجماعى .

٢ - مواصلات الفضاء .

بعد أن حققت عمليات غزو الفضاء كشوفات عدة ساعدت فى خلق معرفة موسعة أو تفصيلية فى بعض الأحيان ، للمجال الفضائى ، قامت البلدان المعنية بهذا المجال بتطوير خطوطها الملاحة الفضائية ورفع قدرتها التكنولوجية ودقتها فى ربطها بين الأرض والفضاء ، عن طريق إقامة الكثير من المحطات الفضائية المؤقتة أو الثابتة ، والمأهولة بطاقم متخصص فى بعض الأحيان يعاود تبديله بشكل دورى . وأمسى للفضاء الخارجى خطوط مواصلات خاصة بكل دولة ويكل اتجاه تتحكم فيها أجهزة دقيقة للرصد والمراقبة .

وأعانت هذه الشبكة المتقدمة لطرق مواصلات الملاحة الفضائية على استخدامات أخرى للفضاء ك مجال للتسهيل والتطوير العالى للاتصالات الراديو - تلفزيونية .

فى شهر آب (أغسطس) ١٩٦٤ أنشئ أول مجمع عالمى للمواصلات الراديو - تلفزيونية انتلسات Intelsat ، بواسطة مجموعة من الأقمار الصناعية . وفى ٦ من نيسان (أبريل) ١٩٦٥ أقيم أكبر مشروع للمواصلات عبر الفضاء عندما أطلق أول قمر اصطناعى خاص بالاتصالات هو

إيرلى بيرد Early Pird الذى أطلقته (الإدارة القومية للفضاء والطيران) NASA بهدف الاستخدام التجارى وتسهيل الاتصالات التجارية العالمية .

وقام الاتحاد السوفيتى فى آذار (مارس) ١٩٧٤ بتأسيس مشروع كبير للمواصلات الفضائية عندما أنشأ أول محطة مدارية ثابتة حول الأرض لغرض الاتصالات الراديو-تلفزيونية وذلك بعد مرور حوالى عشر سنوات على إنشاء المحطة الأمريكية .

وفى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨١ استخدمت لأول مرة وسائل المواصلات الفضائية لتسهيل الاتصالات البحرية على الأرض فقد أطلق القمر الاصطناعى ماريكس-١ Marecs بغرض توفير دقة وكثافة فى الاتصالات الراديو-تلفزيونية فى البحار . وفى مجال تعزيز شبكة الاتصالات الراديو-تلفزيونية أيضاً أطلقت عدة أقمار اصطناعية بعد ذلك مثل القمر الأمريكى 3-SPS و الكندى انيك-سى ٣ 3-Anic عام ١٩٨٢ ، ثم أطلق فى العام ١٩٨٣ القمر الأوروبى إى ، سى، أس-١ 1-ECS لتسهيل الاتصالات العملياتية وهو القمر الأوروبى الأول الذى يستعمل لأغراض الاتصالات التجارية ، وفى آب (أغسطس) ١٩٨٤ أطلقت فرنسا القمر الصناعى تيليكوم-١ 1-Telecom المخصص للاتصالات الراديو-تلفزيونية والخاص باتصالات فرنسا فقط مع الإرسالات الخارجية . وبالرغم من تعدد الأقمار الاصطناعية القائمة لغرض المواصلات وتعدد البلدان التى أطلقتها ، فإن الولايات المتحدة تبقى المهيمنة فى ميدان طرق المواصلات الفضائية والمسيطرة على كل عمليات المواصلات الخاصة بالأقمار المدارية وأقمار المواصلات الفضائية الأخرى .

عبر تطور المحطات الراديو-تلفزيونية انتقلت الحدود الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى إلى الفضاء فطورت العناصر الأساسية فى وسائل مواصلاته مثل الأقمار الاصطناعية الاتصالية والمحطات الفضائية والمدارية ومركبات الفضاء وادارات الكشف ، لأن أقمار الاتصال قد طورت الشبكات اللاسلكية وموثوقيتها وجعلت مقرات القيادة فى موسكو وواشنطن قادرة على توجيه قواتها البرية والبحرية والجوية حيثما كانت على الأرض ، وكان هذا التطور فى وسائل الاتصال الفضائى بالضرورة عاملاً لتوظيف الفضاء عسكرياً ما دامت التطورات الفضائية

قادرة على اختصار الكثير من المهام التقنية التقليدية بتحسين قدرات خط الحدود الفضائية وتعزيز إمكاناته فى مجالات الرصد والاتصالات والملاحة وغيرها من المهام العسكرية المساعدة مع عدم السعى للدخول فى عملية واسعة لعسكرة الفضاء وتحويله إلى خط قتالى . وكان خلف هذا الموقف بعدم التسليح اتفاقيات ضمنية لم تكن إحدى الدولتين قادرة - أدياً - على اختراقها حتى فترة قريبة عندما بدأ تسليح الفضاء يتخذ صورة مكشوفة .

٣ - عسكرة الفضاء (تسليح الفضاء) .

المحاولة الدبلوماسية لمنع تسليح الفضاء .

خلال سنوات الستينات والسبعينات ، وعلى الرغم من تطور التكنولوجيا الفضائية لم تكن هناك تحذيرات لحرب فضائية أو مشروع عسكري ما يكون مجاله الفضاء ، فحتى أقمار التجسس العسكرى والمساعدات المعلوماتية التى تقدمها الأقمار الفضائية إلى القوات العسكرية على الأرض لم تكن تدخل فى عداد عسكرة الفضاء .

وفى مجال القانون الدولى ظهرت فى سنوات الستينات بعض المعاهدات التى تمنع الاستخدام العسكرى للفضاء . ومع تطور الصناعة الفضائية لكنتا الدولتين الكيبرتين أبدت الولايات المتحدة استعداداً للاتفاق مع الاتحاد السوفيتى على « تحريم وضع القنابل فى المدارات » وكان وقتها نوعاً من التوازن الغريب بين الدولتين فالتفوق الفضائى للسوفيات يعادله الانتشار الواسع للقوات الأميركية فى مستعمراتها وتفشى قواعدها العسكرية ، هذا التوازن دفع الدولتين للتوقيع على « معاهدة استخدام الفضاء للأغراض السلمية فقط » عام ١٩٦٧ ، وكانت هيئة الأمم المتحدة صاحبة الاقتراح لهذه المعاهدة ، وفى عام ١٩٦٧ توصلت إلى صيغة اتفاقية تعهدت بموجبها دول العالم بعدم استخدام الأسلحة النووية فى المجال الفضائى الذى يصل مداه إلى القمر . ولم تمنع هذه

المعاهدة الطرفين العظميين من تطوير أسلحته ووسائله الاستراتيجية الفضائية كل على حدة . ومع أن بعض التقارير والدراسات قد صدرت فى المجالات الاستراتيجية والعسكرية المتخصصة حول تقنية تسليح الفضاء ، فإن المعلومات الواردة فيها تبقى ناقصة بسبب خضوعها للمراقبة ، وخاصة بما يتعلق بالدفاع ضد الصواريخ واستخدام سفن الفضاء المكوكية للأغراض العسكرية ، فإن هذه الاستخدامات قد منعت وفق معاهدة ثانية عقدت فى عام ١٩٧٢ ، ونصت على تخفيض منظومات الدفاع ضد الصواريخ وعدم إرسال أسلحة التدمير الشامل ، وفى عام ١٩٧٦ حدث اتفاق ضمنى على شكل اتفاقية بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفيتى تمنع وضع الأسلحة النووية داخل مدارات حول الأرض . ومنذ ذلك الوقت اختفى خطر استخدام الأقمار الاصطناعية ومركبات الفضاء لقصف الأرض بأسلحة تدمير شاملة . بيد أن اتفاقية ١٩٧٦ لم تمنع الطرفين من متابعة الأبحاث والاختبارات فى هذا المجال بسبب ديناميكية التقدم العلمى التقنى والشك المتبادل المسيطر على العلاقات السوفياتية الأمريكية وتصميم الطرفين على عدم التخلف فى مضمار الفضاء وعدم السماح للطرف الآخر بتحقيق فرق تكنولوجى يمنحه إمكانية احتكار السيطرة على الفضاء الخارجى ، ولذلك استمرت الأبحاث والاختبارات فى مختلف مجالات تسليح الفضاء عدا مجالى :
١- وضع الأسلحة نووية فى مدارات حول الأرض ، حسب الاتفاقية المعقودة فى ١٩٧٦ .

٢- ومجال تطوير الأسلحة المضادة للصواريخ الباليستكية (A B M) الذى يتنافى مع اتفاقية « سولت - ١ » التى عقدها الزعيمان نيكسون و بريجنيف فى عام ١٩٧٢ ، ويتنافى مع البروتوكول الخاص بتحديد الأسلحة الصاروخية الدفاعية الذى وقعه أندريه كروميكو وهنرى كيسنجر فى عام ١٩٧٤ .

ودخل الجانب الأوروبى مبادرة عدم تسليح الفضاء عبر الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان الذى اقترح إنشاء « الوكالة الدولية لأقمار المراقبة »

« Agence International de Sateellites de Controle » .

والهدف من إنشاء هذه الوكالة بالنسبة لفرنسا ومن ورائها أوروبا مزدوج ، هو منح المجتمع الدولى فرصة لمراقبة تنفيذ المعاهدات القاضية بتحديد التسلح وإمكانية إشراف هيئة الأمم المتحدة على

الازمات العالمية المحتملة بين العملاقين ، والهدف الآخر هو إعطاء فرنسا والدول الأوروبية دوراً في المسرح العالمي فيما يتعلق بمسألة حرب الفضاء .

،من أهمية المعاهدات التي حصلت لتحديد الأسلحة الاستراتيجية النووية أو لمنع تسليح الفضاء

هى :

– سالت ١ _ S.A. L. T _1 (Strategie Arms Limitaion Talks _1)

(محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية) . وقع عليها كل من نيكسون وبرجنيف عام ١٩٧٢ .

– سالت ٢ _ S. A. L. T _2 . وقع عليها كل من الرئيس كارتر وبرجنيف عام ١٩٧٩

ولكنها لم تدخل حيز التنفيذ بسبب عدم تصديق الكونجرس الأمريكى عليها بسبب الغزو السوفياتى لأفغانستان .

– مفاوضات «ستارت» . وقد حلت من حيث التسمية محل سالت ١ـ و سالت ٢ـ وبدأت محادثاتهما

فى جنيف فى حزيران (يونيو) ١٩٨٢ وتوقفت فى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٣ بسبب إعلان

الرئيس الأمريكى رولاند ريغان فى شهر آذار من العام نفسه « مبادرة الدفاع الاستراتيجى »

المعروفة بـ « حرب النجوم » .

عمليات تسليح الفضاء .

منذ بدأت سنوات الستينات كانت نية الولايات المتحدة وضع مشاريع للدفاع العسكرى

الفضائى، ولكن هذه الرغبة لم تتحقق إلا خلال سنوات السبعينات عندما بدأت بتصميم المعترضات

الفضائية بالرغم من توقيعها على عدة معاهدات حول عدم تسليح الفضاء . فقد تبدل الوضع فى

السبعينات عندما أطلق الاتحاد السوفيتى عام ١٩٧١ المحطة الفضائية SALIOUT _1

ساليوت - ١ وهى أول مختبر فضائى مأهول يمكنه البقاء فى الفضاء لمدة طويلة ، ومنذ إطلاق هذه

المركبة بدأ رجال الفضاء السوفيات يقومون بشكل منظم بمهام معقدة وغير معروفة الهدف ظاهرياً

لكنها لغايات عسكرية حتماً . فقد أورد أحد التقارير الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة أن الدفعة الثانية من رحلات (ساليوت - ٢) قد التقطت أكثر من عشرين ألف صورة فوتوغرافية لمناطق مختلفة فى العالم . فاطلقت الولايات المتحدة بدورها عام ١٩٧٣ مختبراً فضائياً عملاقاً هو المركبة سكاى لآب Skylab ، وكان من ضمن مهامه العديدة تنفيذ صور فوتوغرافية للأرض بواسطة الأشعة تحت الحمراء وعن طريق الصور المرئية العادية . ثم قامت القوات الأمريكية بالتعاون مع أجهزة الاستخبارات بوضع برامج لدعم مجهودات وأعمال القوات العسكرية الموجودة على الأرض ، فى البر والبحر والجو . وينقسم هذا البرنامج إلى أربعة أنواع :

١ - أقمار الاستطلاع والمراقبة Reconnaissance

٢ - أقمار الإنذار المبكر Alerte Avancee

٣ - أقمار الاتصالات Telecommunication .

٤ - أقمار الملاحة Navigation .

وفى عام ١٩٧٢ صادق الرئيس نيكسون على مشروع إرسال سفينة فضاء قابلة للاسترجاع وقد صممت خصيصاً للأغراض العسكرية ، فهى قادرة على المناورة ، وذات قدرة واسعة على حمل الأشخاص والمعدات ، وإن أغلب استخدامات هذه السفينة مخصصاً للقوات المسلحة الأمريكية حتى عام ١٩٩٤ . وبذلك أصبح الفضاء مليئاً بالأجرام والمركبات والآلات الفضائية المتنوعة وبرواد الفضاء ذوى المهمات الكثيرة وبمئات الأقمار العسكرية التى تقوم بأعمال « الدورية » والمراقبة ، كما أن هنالك ردارات على الأرض تراقب دون توقف حركة هذه الأجرام . وعلى الرغم من أن عسكرة الفضاء قد زادت من احتمال مواجهة عسكرية بين العملاقين إلا أنها قد ساعدت من جهة أخرى على تثبيت سياسة التعايش السلمى . وذلك أن المراقبة بواسطة الأقمار الاصطناعية جعلت من الممكن إجراء التحقق من تنفيذ التزامات عسكرية معينة ، وبالتالي توقيع معاهدات لتحديد أنواع معينة من الصواريخ كاتفاقيتى سالت-١ وسالت-٢ . فالقمر الأمريكى بك بيرد Big Bird الذى يزيد وزنه على ١٣ طناً يستطيع تأدية مهمتين مختلفتين : الأولى مراقبة واسعة للمناطق الأرضية على ارتفاع ٤٠٠ كيلو متراً والثانية مراقبة «قريبة» لتحركات معينة على مدى ١٥٠ كيلو متراً .

وهناك قمر آخر هو KH11 والذي يحمل اسم Key hole ويعمل بصورة أساسية لصالح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية C. I. A ويحلق على بعد عال هو ٦٠٠ كيلو متراً عن الأرض . وهناك أقمار على ارتفاعات أكبر (حوالي ٣٦٠٠٠ كيلو متراً) والخاصة بالإدارة المسماة « ببرنامج الدعم الدفاعي Defense Support program وتهتم بالدفاع المبكر وتراقب إطلاق أى صاروخ من الاتحاد السوفيتي أو من الصين مستخدمة الأشعة تحت الحمراء فى اكتشاف انطلاق الصواريخ . وكل المعلومات التى تنقلها الأقمار الأمريكية تعالج على الأرض عن طريق ما يدعى « بمكتب الاستطلاع القومى » Nationd Reconnaissance N . R . O Office وهذا المكتب سرى جداً وليس له مقر «رسمى» ولا يذكر اسمه أو أى شيء عن وجوده من قبل المسؤولين ، ويقال إن ميزانيته تعادل ضعف ميزانيته وكالة المخابرات المركزية .

ولا تقل فعاليات الاتحاد السوفيتي فى مجال عسكرة الفضاء عن فعاليات الولايات المتحدة . فهناك المركبة الفضائية السوفياتية كوسموس - ١٤٤٥ Cosmos _1445 ويبلغ وزنها ١٥ طناً وهى مركبة فضائية غير مأهولة ولكنها يمكن أن تحمل راكباً أو اثنين فى المستقبل فهى تمثل أول طائرة اعتراضية فضائية فى النظام الحربى لما يدعى بـ « حرب النجوم » ويقوم السوفييت بتطوير مشروع آخر لمركبة فضائية قابلة للعودة إلى الأرض ، وقد شرع بعمل نموذج لهذه المركبة فى قاعدة Ramonskoye السوفياتية . وتذكر تقارير البنتاغون أن السوفييت سيتمكنون خلال السنوات خمس القادمة من إقامة محطة فضائية دائمة حول الأرض مزودة بالأسلحة وأجهزة المراقبة .

وللأهمية التى يمثلها موضوع علم الخرائط Cartographie للقوات العسكرية فقد أطلقت الكثير من الأقمار « الجيوديزية » لهذا الغرض . وتوجد أقمار عسكرية متخصصة فى إحداث التعديلات على محارك الصواريخ وعلى القيادة الساكنة للطائرات ، ثم تحديد موقع أى هدف عسكرى بدقة تصل إلى المتر الواحد . وبذلك تكون كل الوسائل التقنية الفضائية قد وضعت فى خدمة الأغراض العسكرية للقوتين العظميين بدءاً من الجرم الفضائى الجيوديزى Tetrahedron الذى لا يزيد وزنه على ٦٦٧ غراماً وحتى أكبر قمر اصطناعى فى الفضاء ، وهو القمر السوفياتى سليوت - ٧ 7 _ Soliout يهدف لإحكام السيطرة المشتركة لكليهما على الفضاء ، ثم بشكل آخر

على الأرض أيضاً ، ولذلك يطلق الأمريكيون العسكريون على الفضاء تسمية الحدود العليا High Frontier بعد أن أصبح بإمكانهم التنسيق العسكرى بين الفضاء والأرض .

لقد دخلت أشعة الليزر إلى الاستخدام الفضائى العسكرى فبشكل متوازٍ مع دراسة الليزر وتطويره تقوم الدولتان العظيمتان بدراسة حزم أشعة الجزيئات ومكونات السلاح الألكترو - مغناطيسى ، لكن التقدم فى هذا المجال ما زال محدوداً ، الأمر الذى سيؤخر تطور الأسلحة الألكترو - مغناطيسية وأسلحة الجزيئات حتى مطلع القرن الحادى والعشرين إذا تحدث مفاجئة علمية تغير المعطيات الواقعية .

وحالياً ، يمكن تقسيم أسلحة الفضاء بشكل عام إلى أجيال ثلاثة :

- الجيل الأول : يتضمن الأقمار القاتلة والأقمار الخاطفة والصاروخ (A. S. A. T) المضاد للأقمار الاصطناعية ، والصواريخ المضادة للصواريخ الباليستكية (A. B. M) .

- الجيل الثانى : يتألف من أسلحة لايزرية محمولة فى الوسائط الفضائية من أقمار وسفن فضاء ومركبات فضائية ، ويمكن أن تنضم إلى هذا الجيل أسلحة أخرى مثل المدافع اللايزرية الأرضية والكراة القاتلة Oursin .

- الجيل الثالث : يتضمن أشعة الجزيئات (أشعة الموت) والأسلحة الألكترو مغناطيسية ، وستدخل فى عداد هذا الجيل المدافع اللايزرية الأرضية والكراة القاتلة إذا لم يسمح التقدم العلمى - التكنولوجى بتطويرها مع أسلحة الجيل الثانى .

بهذه الأسلحة المعززة بشبكات متكاملة للرصد والملاحقة والاتصال ، والمعرضة لوسائل التشويش والخداع والتدابير الألكترونية المضادة ، وسيكون بوسع الدولتين العظيمتين خوض الحرب الفضائية فى القرن الواحد والعشرين وإدارتها من مراكز قيادية فضائية محصنة ومطمورة تحت الأرض ومزودة بشاشات عرض الرادارات البعيدة و وسائط الاتصال والسيطرة و مجموعة من العقول الألكترونية القادرة على حساب مسارات الأهداف المعادية وتحديد عناصر رميها ، ونقل هذه العناصر وسائط الدفاع الفضائى الموجودة فى الفضاء أو على سطح الأرض أو تحت مياه البحار . إن المهمة الأساسية للأقمار الصناعية فى مجال الاستخدام العسكرى هى الرصد والمراقبة

لأقاليم الخصم ، فهناك أجرام فضائية اتوماتيكية تقوم بتقديم أشكال متعددة من المساعدة والدعم للقوات العسكرية ، كالقمر الأميركي I. D. C. S. P والقمر السوفياتي Molnia . كما أن القوات الفرنسية سوف تقوم عبر إطلاقها للقمر الصناعي تيليكوم - Telecom\ بوضع وتنفيذ اتصالات فورية وغير متقطعة مع السفن الحربية الفرنسية ومع الأقاليم البعيدة ، وذلك بفضل نظام سيرانكوز Syrancase المقام على سطح هذا القمر .

أما فيما يخص موضوع الإنذار المبكر ، في حالة اندلاع حرب نووية مفاجئة ، فإن الردارات الأمريكية المقامة في آلاسكا وغروتلاند ، والردارات السوفياتية المقامة كولا Kola و كومتشاتكا Kamtchatka تستطيع تقديم إنذار مبكر مدته ١٢ دقيقة بفضل إسنادها من قبل الأقمار الفضائية العسكرية للدولتين ، في حالة هجوم إحدهما على الأخرى بالصواريخ العابرة للقارات .

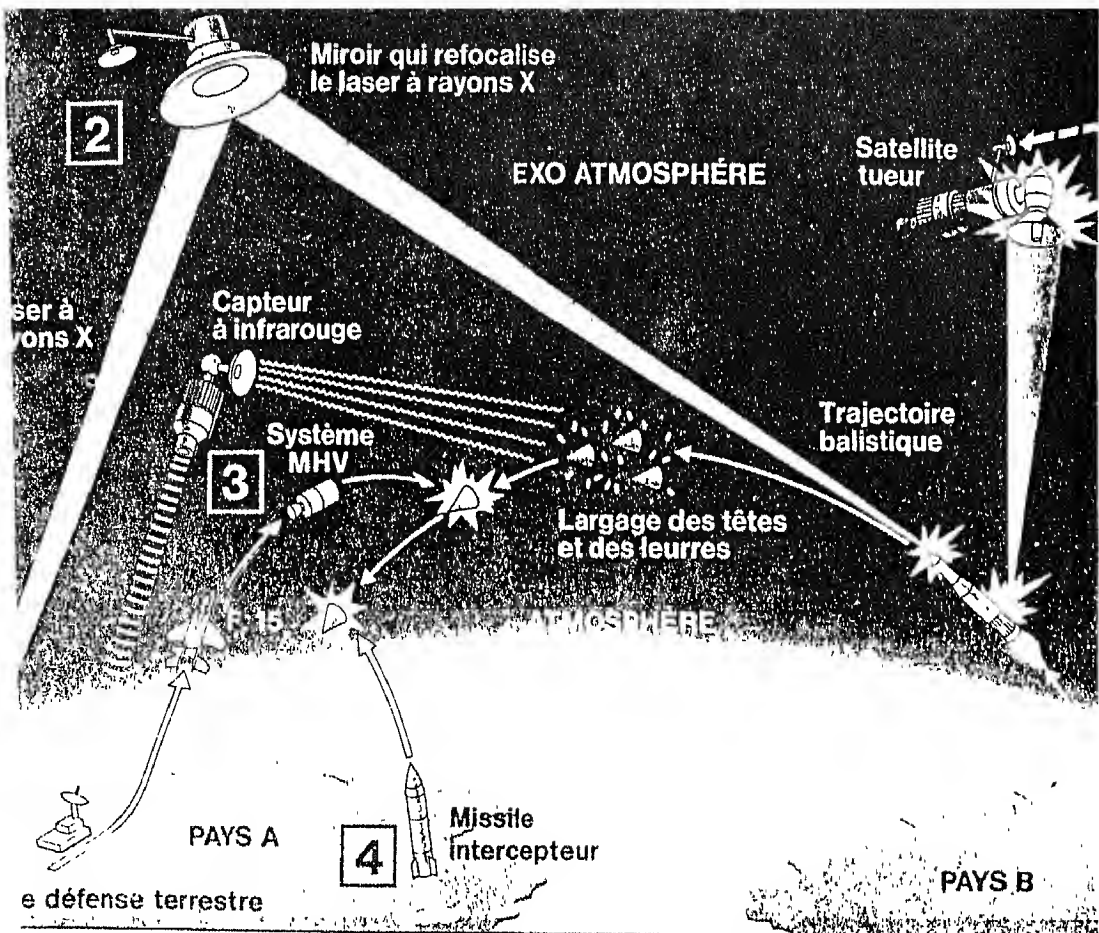
٤ - حرب الفضاء (أو «حرب النجوم»)

في ٢٣ من آذار ١٩٨٣ ألقى الرئيس الأميركي رولاند ريغان خطاباً تاريخياً علي صعيد المعطيات الاستراتيجية الجديدة التي ولدها إذ افتتح عصراً جديداً في تاريخ الحروب البشرية هو حرب الفضاء . أعلن ريغان في هذا الخطاب برنامجاً دفاعياً متقدماً يسمى « مبادرة الدفاع الاستراتيجي » S. D. I = Strategic Defense Initiative

أو «مشروع الدفاع الفضائي» وتقضى هذه «المبادرة» بأن لا تقبل الولايات المتحدة ببناء أمنها القومي على استراتيجية الردع وحدها . والمعروفة تحت اسم استراتيجية « التدمير المتبادل الاكيد Mutual Assured Destruction

M. A. D. (بالفرنسية = Destruction mutuelle assuree)

بل من الواجب أن تبحث عن امتلاك وسائل أخرى قادرة على اعتراض الصواريخ النووية التي يطلقها العدو والقادرة علي تدمير الولايات المتحدة في حالة عدم التلافي الدقيق والفعال لها ، أي أن



تتم عملية الاعتراض جواً وقبل سقوط الصواريخ داخل الحدود الإقليمية ، أى أن الوسائط الدفاعية التى يتوجب على الولايات المتحدة امتلاكها قادرة على خلق نظام مضاد للصواريخ النووية وداخل الفضاء نفسه وليس على الأرض ليحقق تدمير الصاروخ المهاجم قبل سقوطه . إن خطورة خطاب ريغان فى ٢٣ من آذار ١٩٨٣ تتمثل فى إعلانه الضمنى للفضاء كساحة حرب جديدة من ناحية ، وتعلن أيضاً تخلى الولايات المتحدة عن استراتيجية الردع التى تبنتها منذ عام ١٩٤٥ عندما ظهر الاتحاد السوفيتى كخصم استراتيجى لها .

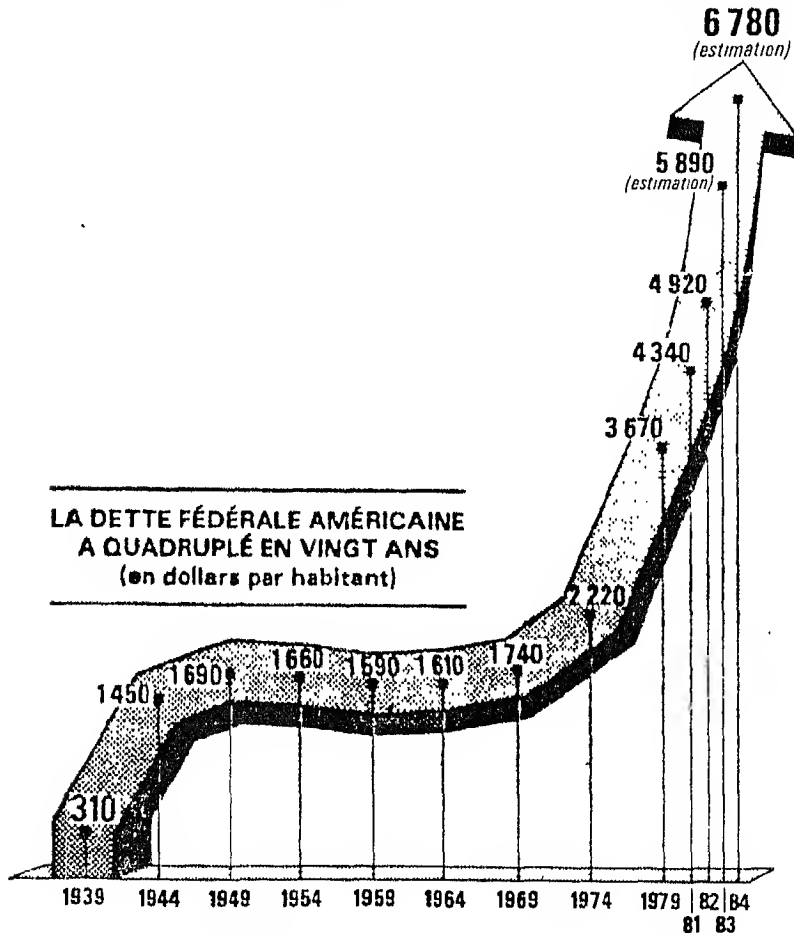
وتلغى هذه المبادرة التفاصيل الاستراتيجية الأمريكية السابقة مثل « توازن الرعب النووى » التى

اتباعها الرئيس جيمى كارتر ، وكذلك « التدمير النووى المتبادل والاكيد » القاضية بأن كل طرف نووى قادر على أن يأخذ كرهائن عنده ، السكان المدنيين لخصمه ، يقوم كل طرف بتهينة كل قدراته على مراقبة ضربة عدوه قبل أن يدمره تماماً للرد عليها بشكل أكثر فعالية وعنفاً . إن يقينية التدمير الكامل لكل طرف تجعل كلا منهما لا يجد أى فائدة بأن يكون البادىء بهجوم نووى فالمدن الرئيسية فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قد تركت بدون دفاع فعال إزاء الصواريخ النووية للخصم، ولذلك تبقى أفضل طريقة لتحقيق هزيمة العدو هى الرد بشكل مباشر وبدون تردد على مدنه الرئيسية وتدميرها ، ويكون الدفاع أكثر فاعلية فى حالة التوصل إلى تدمير صواريخه النووية فى الجو وقبل بلوغ أهدافها الأرضية . وبهذا يكون الرئيس ريغان بمبادرته للدفاع الاستراتيجى قد تجاوز المنطق السابق فى الرعب النووى إلى إنتاج أقمار صناعية موجهة بأشعة الليزر ومركزة فى محطات مدارية ، فالاعتراض الجوى لصواريخ العدو لا يكون عبر قواعد صاروخية مثبتة فى الأرض فحسب ، بل بصواريخ وأسلحة اعتراضية يكون منطلقها الفضاء أيضاً .

إن مبادرة ريغان نتيجة لطموحها العلمى المعتمد على تقنية عالية لحرب الفضاء قد جوبهت بسخرية وعدم تصديق وقد أطلقت عليها الصحافة الغربية اسم « حرب النجوم » أو «حرب مبادرة النجوم » والعبارة المذكورة مقتبسة من عنوان فيلم الخيال العلمى الشهير الذى أخرجه الأمريكى جورج لوكاس عام ١٩٧٧ تحت عنوان «حرب النجوم » Stars Wars التى تخيل فيه الصورة التى ستكون عليها الحروب المستقبلية بين البشر بعد التطور التقنى العالى لأسلحة الفضاء و للمراكب الفضائية . لكن خطاب ريغان كان مبنياً على أساس علمى دقيق ولم يكن من بنات أفكار ريغان نفسه ؛ فقد سبق خطابه الهام فى آذار ١٩٨٣ تاريخ مهم آخر هو إحداث «قيادة الفضاء » Space command فى أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢ التى رُبطت بها إدارة خاصة بتحليل المعلومات الآتية من الأجرام العسكرية الأمريكية وهى الإدارة المعروفة باسم « قيادة أميركا الشمالية الدفاعية للطيران والفضاء » -Norad North American Aerospace Defense Com- mand التى يقع مقرها فى كولورادو الاميريكية .

وبعد إعلان ريغان بدأت الخطوات الإدارية التنفيذية فقد دعت الحكومة الأمريكية الخبراء

والأخصائيين والمؤسسات التكنولوجية المتقدمة والهيئات العلمية الجامعية إلى المساهمة في الأبحاث العلمية الخاصة ببرامج التطوير المتعلقة بالحسابات الإلكترونية وأجهزة الكشف والمتابعة والأقمار الاصطناعية وكل ما يخدم جهود التسليح الجديدة التي تؤمن التفوق الأمريكي في الفضاء الخارجي إن الأبحاث العلمية لهذه المؤسسات الضخمة قد أثمرت بعد مضي عام على إعلان ريغان لمبادرته الاستراتيجية ، فقد تحول المشروع إلى واقع فعلى بعد أن كان خيالاً في نظر الكثير من المراقبين الاستراتيجيين . ففي العاشر من شهر حزيران (يونيو) ١٩٨٤ حققت الولايات المتحدة في مجال التسليح ، إنجازاً تكنولوجياً هاماً ، يفتح في ميدان العمليات الفضائية عصراً جديداً على جميع الأصعدة التكتيكية والاستراتيجية والسياسية . ففي ذلك اليوم أطلق الأمريكيون فوق المحيط الهادئ صاروخاً من طراز « مينوتمان - ١ » ووضعوه على مسار فضائي ، وتمت عملية الإطلاق من قاعدة « فاندنبرغ » (في كاليفورنيا) الواقعة على شاطئ المحيط الهادئ والتي تعتبر أهم قاعدة أمريكية لاختبار الصواريخ الباليستكية . ولقد جرت عملية الإطلاق ووضع الصاروخ في مساره بشكل عادي وكأنها رمية روتينية ، ولا سيما أن الصاروخ « مينوتمان - ١ » مطور منذ عشرين عاماً . وبعد



Source : U.S. News & World Report, 14 mars 1983.

انفصال طبقتى رفع الصاروخ الأولى والثانية ، تابعت الطبق الثانية ، المزودة برأس ، مسارها بالبالستيكي فى الفضاء خارج الجو الأرضى ، متجهة نحو النقطة المحددة لوصولها وسط المحيط ولكنها انفجرت قبل بلوغ تلك النقطة بعد أن صدمها صاروخ صغير متطور انطلق من قاعدة اختبارات أميركية تقع فى جزيرة ميك (من أرخبيل كواجالين فى المحيط الهادى) . وكان الصاروخ الصغير قد انطلق بعد إطلاق « مينو تمان - ١ » بعشرين دقيقة ثم تخلص من محركاته الدافعة واتجه رأسه الحربى إلى « مينو تمان - ١ » وقطع عليه الطريق ، وبفضل نظام التوجيه النهائى المتطور الذى يحمل الرأس الحربى ، استطاع الصاروخ الصغير ملاقة الصاروخ « الهدف » وتدميره بالصدمة المباشرة على ارتفاع ١٨٠ كيلو متراً فى الفضاء الخارجى (ستراتوسفير) . وكانت سرعته فى المراحل النهائية من التعقب ٢٥ ألف كيلو متراً فى الساعة .

فى حالة مشروع « مبادرة الدفاع الاستراتيجى » I. D. S ، موضع التنفيذ ، يمكن لعملية الاعتراض الفضائى ضد الصاروخ المعادى أن تتحقق عبر أربع مراحل خلال الأطوار المختلفة الثلاثة لتقدم الصاروخ المهاجم داخل الفضاء .

١ - مرحلة التصاعد والارتفاع .

٢ - أثناء مرحلة الطيران نفسها .

٣ - أثناء المرحلة الثانية لطيران الصاروخ .

٧ - خلال المرحلة الأخيرة لطيران المهاجم .

كما يتضح فى الرسم . الدولة (B) مهاجمة ، و الدولة (A) مدافعة عبر نظام الصواريخ المضادة جواً ، أو أسلحة الاعتراض للصواريخ البالستيكية النووية ، حسب نظام الدفاع الاستراتيجى .

لقد كان هذا الاختبار من الناحية التقنية إنجازاً ضخماً ف لأول مرة فى التاريخ يتمكن صاروخ من اعتراض صاروخ بالستيكي إبان التحليق . والحقيقة أن الأمريكين قد استخدموا فى عملية الاعتراض سلاحاً عادياً ، مجرد صاروخ . صحيح أن هذا الصاروخ كان محسناً وأن رأسه مزود

بنظام توجيه ذاتى مقارب يتمتع بدقة عالية جداً إلا أنه لم يكن أكثر من سلاح مستخدم منذ مدة طويلة ومعدل لأغراض اعتراض الصواريخ الباليستكية ، ومن المؤكد أن الأمريكان لم يدخلوا على السلاح تعديلات دقيقة ومتقدمة لمجرد إظهار مقدرتهم التقنية العالية ، بل لأن همهم المستقبلى المخصص لتدمير الصواريخ إبان مدة التحليق يعتمد منذ الآن على تكنولوجيا وأسلحة تختلف تماماً عن السلاح الذى حقق هذا الإنجاز الضخم فى يوم ١٠ / ٦ / ١٩٨٤ .

إن هذا النجاح هو بداية لمشروع أسلحة فضائية جديدة ، فقد قررت الولايات المتحدة إنشاء نظام مضاد للصواريخ مؤلف من أربعة أنساق (أو طبقات) ، وأن إعداد النسق (أو الطبقة) الأول سيكون قبل العام ٢٠٠٠ ، والأنساق الأربعة هى :

ـ النسق الأول : ويتألف من محطات فضائية مسلحة بمدافع ليزيرية كيميائية مهمتها تدمير الصواريخ إبان انطلاقها فى المرحلة الأولى من تحليقها .

ـ النسق الثانى : يتألف من مدافع أرضية لإطلاق حزم الجزيئات ومرايا عاكسة فضائية، ومدافع الكترو- مغناطيسية محمولة على الأقمار الاصطناعية . ومهمة هذا النسق تدمير الصواريخ إبان تحليقها فى الفضاء وقبل إطلاق رؤوسها النووية .

ـ النسق الثالث : مهمته التصدى للصواريخ المعادية فى المرحلة النهائية من مسارها ، وعندما تبدأ الاستعداد لإطلاق رؤوسها النووية نحو أهدافها . ويتألف هذا النسق من صواريخ الكرات القاتلة وتحمل كل كرة فى داخلها حشوة نووية صغيرة تنتج عند انفجارها أشعة ليزيرية تخرج من أنابيب الانطلاق الموجودة على سطح الكرة القاتلة وتنتشر فى الفضاء فى جميع الاتجاهات مدمرة الصواريخ المعادية ورؤوسها .

ـ النسق الرابع : ويتألف من صواريخ مضادة للصواريخ ومدافع أرضية تطلق أشعة الموت

ومهمة هذا النسق تدمير الرؤوس النووية أو الصواريخ التي تخترق الأنفاق الدفاعية السابقة .
إن هذه المنظومات العسكرية الفضائية الجديدة قد غيرت كل المعطيات الاستراتيجية التقليدية
وفرضت على الاتحاد السوفيتي ضمناً تغير منظومة أسلحته الفضائية الاستراتيجية السابقة
والدخول في سباق تسليح جديد سيرهق الميزانية الاقتصادية للبلدين.

اقتصاديات حرب الفضاء :

لا توجد أرقام رسمية معلنة فيما يخص الميزانية العسكرية السوفياتية ومشاريع تطوير أسلحتها
الفضائية ، ففي طبيعة السياسة السوفياتية التكتم الشديد حول هذه المسائل ، إلا أنه أعلن بشكل
عام رفع الميزانية العسكرية خلال الأشهر الأخيرة من ١٩٨٤ . أما فيما يخص الميزانية العسكرية
الأمريكية ولا سيما تطوير الأسلحة الاستراتيجية الجديدة ، فقد حصل ارتفاع عال جداً ومفاجئ
في الميزانية العسكرية الأمريكية حالما دخل ريغان البيت الأبيض كرئيس للجمهورية . فالفارق
التصاعدي بين المعدلات القصوى للميزانية العسكرية لم تكن كبيرة قبل ولاية ريغان ، ولكنها
تصاعدت إلى حوالى الضعف في بداية الثمانينات ثم تجاوزت الضعف بعد إعلان مشروع « حرب
النجوم » .

ويعتبر العام ١٩٨٢ بالنسبة إلى مشروعات الدفاع الفضائية الأمريكية التابعة للبنتاغون ، عاماً
هاماً إذ خصص لهذه المشروعات العسكرية ميزانية تفوق بكثير المشروعات الفضائية المدنية لوكالة
NASA إذ بلغت اعتمادات عسكرة الفضاء ٥٨٢٤ مليون دولار .

واعتباراً من عام ١٩٨٣ بعد إعلان « مبادرة الدفاع الاستراتيجي » بلغت الاعتمادات العسكرية
أكثر من ١٠٠٠ مليون دولار عن العامين السابقين ، فقد كانت ٤٣٤٠ مليون دولار للعام ١٩٨١
وأصبحت ٥٨٩٠ مليون دولار للعام ١٩٨٣ .

ثم حققت زيادة حوالى ١٠٠٠ مليون دولار في العام ١٩٨٤ بعد نجاح تجربة اعتراض

الصواريخ الباليستكية فى ١٠ من حزيران ١٩٨٤ ، وضمن الميزانية العسكرية الشاملة خصصت اعتمادات مستقلة لبناء النظام المضاد للصواريخ والمؤلف من أربعة أنساق (طبقات) ، فبناء هذه المنظومة يتطلب إنفاق ٢٧ مليار دولار خلال خمسة أعوام ، اعتباراً من العام ١٩٨٤ تاريخ نجاح محاولة اعتراض الصواريخ الفضائية . ويمكن الاكتفاء بإنفاق ١٨ - ٢٦ مليار دولار ، لكن الإنجاز سيتأخر فى هذه الحالة إلى ما بعد العام ٢٠٠٠ .

وستتضاعف الميزانية العسكرية الأمريكية خلال السنوات القليلة القادمة بسبب المتطلبات المستمرة لأسلحة الفضاء المتطورة . و الرسم البيانى التالى يوضح التصاعد الحاصل فى ميزانية الاعتمادات العسكرية الأمريكية .

مراجع الفصل الرابع

١ - المراجع الأجنبية

2226, 1067 du 19 Avril 1985. p 51.

- DHOMBRES DOMINIQUE: "La Rencontre Gromyko-Shultz du 14 Mai. Sovietiques et Americains Accelerent la reprise de leur dialogue". no 12504.
- EGE KONRAD: "Budget et defense ou budget de guerre". Le monde diplomatique no 349. Avril 1983. p 1. p 6.
- FONTAINE André: "La guerre froide dans l'espace. I - A La vitesse de la lumiere". Le Monde no du 13 Juillet 1984. p 1. p 2.
- FONTAINE André: "La guerre froide dans l'espace. II- une deuxieme course aux Armements". Le Monde no du 14 Juillet 1984.
- GUETTA BERNARD: "Reagan envisage de freiner les depenses militaires." Le Monde no 12392 du 30 Novembre 1984. p 1. p 41.
- GUETTA BERNARD: "Guerre des etoiles. Fermete a Washington" Le Monde no 12419 du 1e Janvier 1985. p 1. p 4.
- GUETTA BERNARD: "Satisfaction a Washington: Mr Gorbatchey accepte l'idee d'un sommet avec Mr Reagan". Le Monde no 12496. 3 Avril 1985. p 1.
- JULIFN CLAUDE: "La paix selon Mr Reagan". Le Monde Diplomatique No 347. Février 1983. p 1, p 10-11.
- JULIFN CLAUDE: "Securite Militaire et Technologie". Le Monde Diplomatique no 375. Juin 1985. p 1. p 13.
- LAURENT ERIC: "Gurre des Etoiles, ce que la France risquerait". Le Nouvel Observateur no M2226, 1067 du 19 Avril 1985. pp 44-46.
- LAURENT ERIC: "G uerre des Etoiles, ce que la France risquerait". Le Nouvel Observateur no M2226, 1067 du 19 Avril 1985. pp 44-46.
- LELLOUCHE PIERRE: "Armes de l'espace: L'Europ-hors jeu". Le point no 630. 15 Octobre 1984. pp 78-81.
- LEMAITRE PHILIPPE: "Guerre des etoiles et technologie". Le Monde no 12510 du 19 Avril 1985. p 1. p 3.
- LE MONDE: "Les enjeux de l'espace". Le Monde Dossiers et Docume-

nts Numéro Spécial 18 Pages. no 119. Février 1985.

- LE MONDE: "La France et la guerre des étoiles". no 12453. 12 Février 1985. p 1.
- LE MONDE: "Washington Marque de points". No 12468. 1er Mars 1985. p 1.
- LE MONDE: "Les Allemands et la guerre des étoiles". no 12499 du 6 Avril 1985 p 1.
- SAMALRIC JACQUES: "La guerre des étoiles". Paris voudrait unifier les positions européennes face aux Etats-Unis. Le Monde no 12486 du 22 Mars 1985. p 1. p 6.
- SCHLOSSER FRANÇOIS: "Guerre: Les Armes qui vont tout changer". Le Nouvel Observateur No M2228, 1043 du 2 Novembre 1984. p 94. p 98.
- SCHLOSSER JACQUES: "Guerre des étoiles". Le Nouvel Observateur No M2226, 1067 du 19 Avril 1985. p 42.
- TATU MICHEL: "Le débat sur la guerre des étoiles". Le Monde no 27 Avril 1984. p 1. p 5.
- TULARD JEAN: "Dictionnaire du Cinéma". Premier Volume. Les Réalisateurs. Edition

٢- المراجع العربية :

- ١- استراتيجيا : (وسائل الحرب الفضائية) ، استراتيجيا ، العدد ٣٠ ، آب ١٩٨٤ ، ص ٥٢-٥٥
- ٢- الأيوبي ، المقدم الهيثم : (حرب الفضاء المستقبلية و أسلحتها) ، استراتيجياً ، العدد ٣٠ ، آب ١٩٨٤ ، ص ٤٧-٥١ .
- ٣- بسام ، حسن : (حرب الفضاء على أبواب الأرض) ، استراتيجياً ، العدد ٦ ، نيسان ١٩٨٢ ، ص ٦٧-٧٤ .
- ٤- بوى ، الجنرال جورج : (النظام المضاد للصواريخ فى حرب النجوم) ، استراتيجياً ، العدد ٣١ ، ايلول ١٩٨٤ ، ص ٧٨-٨٤ .
- ٥- الحسينى ، مصطفى : (قراءة فى الميزانية العسكرية الأمريكية ، استراتيجية ريغان والتوازن الدولى) ، اليوم السابع ، العدد ٥٢ ، ٦ ايار ١٩٨٥ ، ص ٣١-٣٣ .
- ٦- دبقى ، جنان : (الرئيس الأمريكى يكفر عن ذنوبه الليبرالية) ، اليوم السابع ، العدد ٥١ ، ٢٩ نيسان ١٩٨٥ ، ص ٢٤-٢٥ .
- ٧- رحال ، طلعت : (لماذا يريد ريغان لقاء غوربتشيف ؟) ، النهار العربى والدولى ، العدد ٤١٥ ، ١٥ نيسان ١٩٨٥ .
- ٨- الزعيم ، د . عادل : (مسرح الحرب الفضائية) ، استراتيجياً ، العدد ٣٠ ، آب ١٩٨٤ ، ص ٥٧-٦٠ .
- ٩- سمارة ، مها : (التصوير بين واشنطن وموسكو والتطهير فى لبنان بين سوريا واسرائيل) ، النهار العربى والدولى ، العدد ٤٠٥ ، ١٠ شباط ١٩٨٥ ، ص ٢٨-٢٩ .
- ١٠- السيد ، اللواء محمد سميح : (الاستخدام العسكرى للفضاء) ، استراتيجيا ، العدد ٧ ، ايار ١٩٨٢ ، ص ٦٥-٦٦ .
- ١١- شريف ، رياض : ("عربسات" قمر الاتصالات العربية ، أول خطوة عربية فى الفضاء) ، اليوم السابع ، العدد ٣٩ ، ٤ شباط ، ١٩٨٥ ، ص ٤-٦ .
- ١٢- لحام ، فلورا : (الوضع الدولى زاد تعقيداً بعد « حرب النجوم ») ، اليوم السابع ، العدد ٥٣ ، ١٣ ايار ١٩٨٥ ، ص ٢١ .

- ١٤ - (محادثات جنيف بين المتفائلين والمتشائمين ، إنهم يسلمون السماء) . الكفاح العربى .
العدد ٣٤٠ ، ١٤ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٥ ص ٣٥ - ٣٦ .
- ١٥ - يونس ، أنور : (محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، أين تقف اوربا الغربية) .
اليوم السابع . العدد ٣٨ . ٢٨ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٥ . ص ٢٧ - ٢٩ .
- ١٥ - يونس ، أنور (الولايات المتحدة الأمريكية ، صاروخ التفاوض) ، اليوم السابع العدد ٤٨ ،
٨ نيسان ١٩٨٥ . ص ٢٥ .

مراجع الكتاب

المراجع العربية :

- استراتيجيا ، (وسائل الحرب الفضائية) ، استراتيجيا ، العدد ٣٠ ، آب ١٩٨٤ .
- آغا ، حسين ، أحمد سالم الخالدي ، قاسم جعفر : « إسرائيل ، العقيدة العسكرية وشؤون التسليح » سلسلة الدراسات الاستراتيجية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٢
- آغا حسين ، أحمد سالم الخالدي ، قاسم جعفر : (بعض مسائل الصراع العربى الاسرائيلى) سلسلة الدراسات الاستراتيجية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٢ .
- آغا حسين ، أحمد سالم الخالدي ، قاسم جعفر : (قضايا فلسطينية) سلسلة الأبحاث الاستراتيجية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٢ .
- آغا ، حسين ، أحمد سامح الخالدي ، قاسم جعفر : (القوة العسكرية الاسرائيلية) سلسلة الدراسات الاستراتيجية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٢ .
- الأيوبي ، المقدم الهيثم : (حرب الفضاء المستقبلية وأسلحتها) ، استراتيجيا ، العدد ٣٠ ، آب ١٩٨٤ .
- بسام ، حسن : (حرب الفضاء على أبواب الأرض) ، استراتيجيا ، العدد ٦ ، نيسان ١٩٨٢
- بوى ، الجنرال چودچ : (النظام المضاد للصواريخ فى « حرب النجوم ») استراتيجياً ، العدد ٣١ ، أيلول ١٩٨٤ .
- تروتسكى ، ليون : (مختارات من الكتابات العسكرية) ، تعريب أكرم ديرى والمقدم الهيثم الايوبي ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧١ .
- الحسينى ، مصطفى : (قراءة فى الميزانية العسكرية الأمريكية ، استراتيجية ريغان والتوازن الدولى) ، اليوم السابع ، العدد ٥٢ ، ٦ أيار ١٩٨٥ .
- دبنى ، جنان : (الرئيس الأمريكى يكفر عن ذنوبه الليبرالية) ، اليوم السابع العدد ٥١ ، ٢٩ نيسان ١٩٨٥

- ربيع ، حامد : (نظرية الأمن القومى العربى والتطورات المعاصرة للتعامل الدولى فى الشرق الاوسط) ، دار الموقف العربى . القاهرة ١٩٨٤ .
- رحال ، طلعت : (لماذا يريد ريغان لقاء غوربتشوف ؟) . النهار العربى والدولى العدد ٤١٥ ، نيسان ١٩٨٥ .
- الزعيم ، عادل : (مسرح الحرب الفضائية) ، استراتيجيا ، العدد ٣٠ ، آب ١٩٨٤ .
- سمارة ، مها : (التصوير بين واشنطن وموسكو والتطهير فى لبنان بين سوريا وإسرائيل) ، النهار العربى والدولى . العدد ٤٠٥ ، ١٠ شباط ١٩٨٥ .
- السيد ، اللواء محمد سميح : (الاستخدام العسكرى للفضاء) ، استراتيجياً ، العدد ٧ ، ايار ١٩٨٢ .
- شريف ، رياض : (« عربسات » قمر الاتصالات العربية ، أول خطوة عربية فى الفضاء) ، اليوم السابع ، العدد ٣٩ ، ٤ شباط ١٩٨٥ .
- عزمى ، محمود : « نظرية الأمن الإسرائيلى ، الجذور والتطبيقات الاولى ، ١٩٨٤ – ١٩٥٦ » ، مجلة الفكر الاستراتيجى العربى ، العدد الأول ، تموز (يوليو) ١٩٨١ .
- قاسم محمد جعفر : (ميزان القوى العسكرى فى منطقة الشرق الاوسط ١٩٨٤ – ١٩٨٥) . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٥ .
- الكفاح العربى : (محادثات جنيف بين المتفائلين والمتشائمين ، إنهم يسلمون السماء) . الكفاح العربى ، العدد ٣٤٠ ، ١٤ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٥ .
- كيلاى ، هيثم : (الجديد فى المذهب العسكرى الإسرائيلى) منشورات مجلة الفكر العسكرى . دمشق ١٩٨١ .
- لحام ، فلورا : (الوضع الدولى زاد تعقيداً بعد «حرب النجوم») ، اليوم السابع . العدد ٥٣ ، ١٣ أيار ١٩٨٥ .
- لينين ، ف . أ : (نصوص حول المسائل العسكرية) . تعريب المقدم الهيثم الايوبى . دار الطليعة . بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ .
- ماوتسى تونغ : (مؤلفات مختارة) ، دار النشر باللغة الأجنبية . أربعة مجلدات ، بكين ١٩٦٨ – ١٩٧٣ .
- مجموعة العسكرىين والسياسيين الإسرائيليين : (أمن إسرائيل فى الثمانينات) كتاب محدود التوزيع . مؤسسة الدراسات الفلسطينية . بيروت ١٩٨١ .

- مجموعة من الكتاب السوفيات : (لينين والعلم العسكرى) . دار الفارابى بيروت ١٩٧٣ .
- موريز ، اريك : (مدخل إلى التاريخ العسكرى) . تعريب أكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبى . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩ .
- يونس ، أنور : (محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، أين تقف أوروبا الغربية) . اليوم السابع العدد ٣٨ ، ٢٨ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٥ .
- يونس ، أنور : (الولايات المتحدة ، صاروخ التفاوض) . اليوم السابع . العدد ٤٨ ، ٨ نيسان ١٩٨٥ .

المراجع الأجنبية

- Andren (N.): " The international Development Prospects Towards The 199's". Edition Stockholm: Swedish Ministry of Defence. 1974.
- Aronson (Shlomo): " Conflict Bargaining in the Middle East". Baltimore, MD, Johns Hopkins University Press. 1978.
- Bar (Uri Joseph): " The Entry of Nuclear Weapons to the Middle East." Hebrew University. Jerusalem 1981.
- Beaton (Leonard): " Must the Bomb Spread". Penguin. 1966.
- Beaufre (A.): " Crises et Guerres". Editions Presses de la Cite. Paris 1974-
- Beaufre (A.): " La Guerre Revolutionaire, Les Formes Nouvelles De La Guerre". Editions Fayard, Paris 1972.
- Beaufre (A.): " Memoire, 1920 - 1940 - 1945". Editions Presses de la Cite, Plon. Paris. 1950.
- Beaufre, general Andre: " Strategie et l'action ", ed,
- Beaufre: " Strategie pour demain; les problemes militaires de la guerremoderne". ed. Plon. Paris 1972.
- Beaufre, general Andre: " Dissuasion et strategie". ed, A. Colin, Paris 1964.

- Buis GEORGES " Quatre Barrage Dans le ciel " . Le Nouvel Observateur No M 2226, 1067 du 19 Avril 1985 . p 51 .
- CHARNAY (JEAN-PAUL): "Essai General de Strategie". Editions Champ Libre. Paris 1973.
- CHARNAY (JEAN-PAUL): "Logique socio-strategique au Proche-Orient". Politique étrangère. Volume 39. No 5. 1973.
- CHARNAY (JEAN-PAUL): "Principes de Strategie Arabe". Editions de l'Herne. Paris. 1984.
- CHARNAY (JEAN-PAUL): "Technique et Geosociologie, Guerre nucléaire en Orient." Editions Anthropos. Paris. 1984.
- DHOMPRES (DOMINIQUE): "La rencontre Gromyko-Shultz du 14 Mai. Soviétiques et Américains accélèrent la reprise de leur Dialogue". No 12504.
- DORMAN (JAMES. E.): "United States National Security Policy in the Decade Ahead". Edition N.Y. Crane. Russak. 1978.
- DOWTY (ALLEN): "Israel's Nuclear Policy, Policy science quarterly". 1976.
- EGE (KONRAD): "Budget et Defense ou budget de Guerre". Le Monde diplomatique no 349. Avril 1983. p1. p6.
- FONTAINE (André): "La Guerre Froide dans l'espace. I- A la vitesse de la lumière". Le Monde No du 13 Juillet 1984. p1. p2.
- FONTAINE (André): "La Guerre Froide dans l'espace. II-une deuxième course aux Armements". Le Monde no du 14 Juillet 1984.
- GLUCKSMAN (André): "Le discours de la Guerre". Editions de

- l'Herne, 10/18, Paris, 1974.
- GUETTA (Bernard): "Guerre des Etoiles Eremets a Washington". Le Monde No 12419 du 1er Janvier 1985. p1. p4.
 - GUETTA (Bernard): "Reagan Rnvisase de Freiner les Berenses Militaires". Le Monde No 12392 du 30 Novembre 1984. p1. p41.
 - GUETTA (Bernard): "Satisfaction a Washington: Mr Gorbatchev Accerte L'idee d'un sommet avec Mr Reagan". Le Monde No 12496. 3 Avril 1985 p1.
 - GUIBERT: "Strategieques". Editions de l'Herne. Paries. 1977.
 - HORTON (F.B.), POGERSON (A.C.), WARNER (E.L.): "Comparative Defense Policy". John Hopkins University Press. 1974.
 - JABERT (Fouad): "Israel and Nuclear Eapons". International institute for strategic studies. London, 1971.
 - JPNNERGREN (C.G.): "Trends in Planning". Stockholm Swedish National defense research institute. 1977.
 - JERVIS (Robert): "The Logic of Image in International Relations". Princeton University Press. 1970.
 - JREVIS (Robert): "Perception and Misperception in International Politics". "Princeton University Press. 1976.
 - JULIFN CLAUDE: "La paix selon Mr Reagan". Le Monde Diplomatique No 347. Février 1983. p 1, p 10-11.
 - JULIEN (Claude): "Securite Militaire Et Technologie". Le monde diplomatique No 375 de Juin 1985. P1. P3.
 - LAURENT (Eric): "Guerre des Etoiles, ce que la France Risquerait". Le Nouvel Observateur No M 2226, 1067 du 19 Avril 1985. pp 44-46.
 - LELLOUCHE (Pierre): "Armes de L'espace: L'Europe Hors Jeu". Le

point No 630. 15 Octobre 1974. pp 78-81.

- LEMAITRE (Philipps): "Guerre des Etoiles et Technologie". Le Monde No 12510 du 19 Avril 1985. p1. p3.
- Liddell Hart, B.H: " History of the first World War". ed. Cassell, London 1970.6- Liddell Hart, B.H: " Memoire", Traduit de l'anglais par Jean-Paul Constauntin, ed Fayard Paris 1970.
- Liddell Hart: " The Red Army - 1917 to 1945, The Soviet Army - 1917 to the present.: ed, Harcourt Brace and Company, New York 1956.
- Mao Tse-Toung: " Ecrits militaires", Editions en langues etrangeres. Premiere edition de poche. Pekin 1969.
- LE MONDE: "La France et la guerre de etoiles". no 12453. 12 Février 1985. p 1.
- LE MONDE: "Les Allemands et la guerre des ftoiles". no 12499 du 6 Avril 1985 p 1.
- LE MONDE: "Washington Marque de points". No 12468. 1er Mars 1985. p 1.
- Palmer, Bruce: " Grand strategy for the 1980s". Washington, DC: American Enterprise institute for public policy Research. 1978
- Pauker (Guy J.): " Military implications of a possible word order crisis in the 1980s". ed, Santa Monica, The Rand Corporation. R-2003-AF, November 1977.
- SAMALRIC JACQUES: "La guerre des etoiles". paris voudrait unifier les positions européennes face aux Etats-Unis. Le Monde no 12486 du 22 Mars 1985. p 1. p 6.
- Synder, Glenn H. and Siesing, P: " Conflict Among Nations, Bargaining, Decision making and system structure in international crises". ed, Priceton University Press. Princeton 1977.

- SUN TZU: "L'art de la guerre". Traduit de l'anglais par Francis Wang. éd, Flammarion, Pris 1972.
- SWINSON, A.: "Singapour, Foudroyante victoire Japonaise". éd Marabout. Paris 1971.
- SCHLOSSER Jacques: "Guerre: Les Armes qui vont tout changer". Le Nouvel Observateur No M2228, 1043 du 2 Novembre 1984. p 94. p 98.
- SCHLOSSER FRANÇOIS: "Guerre: Les Armes qui vont tout changer". Le Nouvel Observateur No M2228, 1043 du 2 Novembre 1984. p 94. p 98.
- SCHLOSSER JACQUES: "Guerr des etoiles". Le Nouvel Observateur No M2226, 1067 du 19 Avril 1985. p 42.
- TATU MICHEL: "Le debat sur la guerre des etoiles". Le Monde no 27 Avril 1984. p 1. p 5.
- TULARD JEAN: "Dictionnaire du Cinema". Premier Volume. Les Réalisateurs. Edition Robert Laffont paris 1982 . p 445 .
- VAN CLEAVE (WILLIAM) and SCOTT THOMPSON "Strategic options for the early Eighties, what can be done?". éd, N.Y National strategic information centre, 1979.

المحتويات

٣	الفصل الأول : مفاهيم استراتيجية
		الفصل الثاني : جان بول شارنيه :
٢٦	مبادئ استراتيجية عربية
٤٥	الفصل الثالث : نظرية الأمن القومي الإسرائيلي
		الفصل الرابع : من غزو الفضاء إلى
٩٣	حرب النجوم
١٢٦	مراجع الكتاب

إصدارات دار الصلاح

- | | |
|--|--------------------------------------|
| ١ - الخمينيون | مجموعة من المؤلفين |
| ٢ - محاكمة دكتاتور | مجموعة من المؤلفين |
| ٣ - سفاح بغداد | عاطف النمر |
| ٤ - المتآمرون | مجموعة من المؤلفين |
| ٥ - الأمن القومي للخليج العربى | د . رضا فودة |
| ٦ - حرب الفضاء ونظرية الأمن الإسرائيلى | د . علاء طاهر |
| ٧ - السلام الشامل أو الدمار الشامل (تحت الطبع) | د . ممدوح عطية ، د . عبد الفتاح بدوى |

رقم الايداع - ٥٨٣٦ / ١٩٩١

حَرْبُ الْفُضَاءِ وَنَظَرِيَّةُ الْأَمْنِ الْإِسْرَائِيلِي

هذا الكتاب

يضم هذا الكتاب أربعة بحوث تتناول موضوعات استراتيجية وعسكرية خاصة بالصراع العربي الإسرائيلي وذلك في ضوء التطور التقني الذي بلغته العلوم الإستراتيجية المعاصرة .

يتناول المبحث الأول البعد النظري في تحديد المضامين التقنية لمصطلحات جديدة في العلم الإستراتيجي المعاصر ، كما يتضمن إعادة تحديد لمفهوم الإستراتيجية نفسه .

أما المبحث الثاني فهو خاص بمبادئ الإستراتيجية العربية كما يراها عالم الاستراتيجية جان بول شارنيه حيث يقدم تقويماً دقيقاً يمتد إلى العمق التاريخي والديني للوطن العربي .

ويهدف المبحث الثالث إلى إبراز الأسس التي تقوم عليها نظرية الأمن القومي الإسرائيلي كما تجسدها التطبيقات العملية لها . كما يتناول مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي لدى المتخصصين الاستراتيجيين الإسرائيليين

أما المبحث الرابع الخاص بالحرب الفضائية ، فهو يبرز الحدود القصوى لرقى تكنولوجيا الأسلحة الإستراتيجية والتطور الذي بلغته وخاصة بعد إنضمام إسرائيل الى مشروع (مبادرة الدفاع الإستراتيجي) التي اشتهرت باسم حرب الفضاء .

أما مؤلف الكتاب د . علاء طاهر فهو باحث بمركز البحوث الإستراتيجية بجامعة السربون في باريس وهو أحد المتخصصين العرب القلائل في ميدان العلوم الإستراتيجية .

